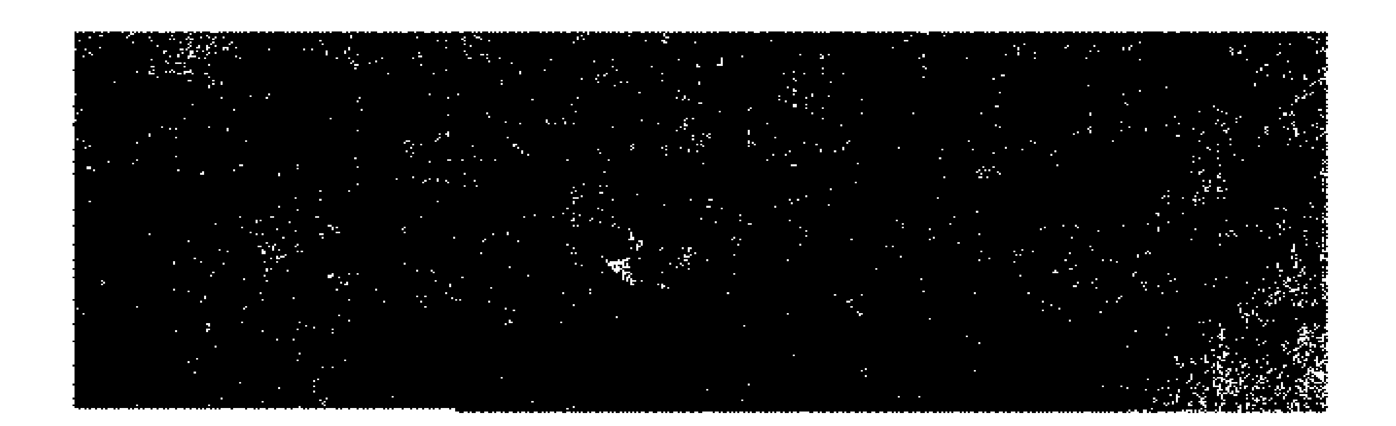
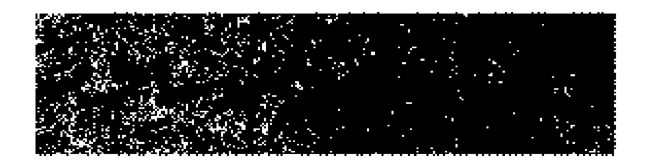
مختارات معربة

(عزيز عبد الله سلامه)

طبع بمطبعة الترقى بشارع الساحة باول الفوالة بمصر








(مطبعة الترقي بشارع الساحة بأول شارع القوالة)

مقدمة

دعانی تجوالی القليل في روضة الادب الانجليزی ؛ الواسعة المدى ؛ البعـــيدة الاطراف ، الى اقتـــطاف أينع ما صادفت من زهورها . وقد جمعت ما اقتطفت ؛ بعد أن كان متفرقا متناثراً ؛ وصنعت منه باقه ؛ أقدمها الآن الى حضرات القراء ؛ مؤملا أن تنال منهم الرضى والقبول ؟

المعرب

الارملة وأبنها[1]

كانت الكنيسة بمقبرتها قائمة على رابيه ، يجرى بجانبها نهير صغير له خرير مرتفع لاينقطع . . وحولها الى أقصى ما يمتد البصر مروج يانعة وحقول خضراء

ذهبت اليها ذات يوم صحو جميل ، وظللت هناك أرقب اثنين من العمال يحفران قبرا . وكانا قد اختارا لذلك القبر زاوية بعيده مهملة في المقبرة؛ بها بعض قبور مجهوله اذ لا أسماء عليها ؛ مما يدل على أن في باطن أرض تلك البقعة أمواتا كانوا فقراء من حياتهم

وبعد قليل علمت أن ذلك القبر الجديد لميت هو وحيد أرملة فقيرة بائسة

وبينما كنت أتأمل في تلك الامتيازات التي يمتاز بها الأغنياء على الفقراء حتي بعد فراق الحياه . دق الجرس منبئا بوصول الجنازه ، وكانت تدل على الفقر والمسكنة ؛ ليس بها للنعيم الدنيوى والترف العالمي أى أثر أو دليل . . نعش حقير ؛

---

(١) نشرت في جريدة كوكب الشرق بتاريخ ٢٥ يولية سنة ١٩٢٥

يحمله بعض القرويين ، هذا كل ما في الامر

وبعد دخول الموكب سار الحفار بخطى بطيئة وعليه دلائل عدم الاكتراث ولم يكن أحد من المشيعين يصيح صيحة حزن حقيقية ؛ سوى، امرأه مسنه هي أم الميت . . . كانت سائره وراء النعش ، ومعها صديقة لها تحاول جهدها تعزيتها والتخفيف عنها . .

وصل الموكب الى القبر ؛ فخرج الكاهن من الكنيسه وبيده الكتاب المقدس . . وكانت تأديته الفريضة كاحسان منه ؛ولذا فهو لم يعرها التفاتا كبيرا ... كان صوته لايكاد يسمع ـ حتي لم يطرق سمعي من كلامه سوى عمغمه خافته

وضع النعش على الارض ؛ وقد حفر عليه اسم وعمر الميت ؛وكان هكذا « جورج سومرس ـ مات في سن السادسه والعشرين» وركعت الام عند رأس النعش ؛ويداها مشبوكتان على صدرها بهيئة صليب : كأنها تصلى وكانت تنظر الى نعش ابنها ؛ وقد أعارها الحزن منظرا يذيب الافئده المتحجره

أعدت التدابير لمواراة النعش التراب؛ فحدثت ضجه عنيفه أيقظت الام من تأملاتها : فرفعت عينيها المغروقتين بالدموع ؛

ونظرت الى ما حولها بذهول لا يوصف . ثم بلغ حزنها أقصى حد له .فأخذتها المرأه صديقتها بين ذراعيها ، وحاولت انهاضها من ركعتها وهي تهمس « رفقابنفسك يا حبيبتي... رفقا بنفسك ياعزيزتي

واروا الجثه التراب . وكانت الام قد هدأت وظهرت عليها بعض الراحه والهدوء المؤلم . ذلك الهدوء الذى يعقب الزوبعة بعد أن تكون قد أهلكت ودمرت كل شيء

لم أقو على تحمل رؤية تلك المناظر أكثر من ذلك؛ فذهبت الى جزء آخر من المقبره ، ومكثت هناك الى أن خرج الجميع ، فخفتت الاصوات وانقطعت الحركه

وحينما رأيت المرأه تبارح القبر ببطء وألم ، تاركه وراءها من كان أعزنى لديها في الحياه ،وراجعه الى الفقر والبؤس والوحده والشقاء ، ذاب قلبي حزنا وأسفا . .

أخذت أفكر . . . ماهي آلام الاغنياء عندحلول مثل هذه المصائب بهم ؟ .. انها لا تذكر .. لديهم مسرات ولذائذ عالمية تلهيهم . . . فتتلاشى تلك الآلام اذا كان لها وجود في نفوسهم . . ان جراحهم تلتئم بسرعه لايتصورها العقل . .

ولكن آلام الفقير المسن المرتكزه حياته على من رحل وتركه . . وآلام الارمله الفقيره المسنه التى فقدت وحيدها الذى كان لهـا عزاء وسلوي. . تلك وما على شاكلتها آلام ليس فى مقدور واصف أن يصفها

☆☆☆

بارحت المقـبرة ؛ وفي طريقي قابلت المرأة التي كانت تحاول جهدها التخفيف عن الارملة المنكوبة . وكانت راجعة الى منزلها بعد أن أوصلت المرأة الى كوخها ؛ حيث الوحدة والسكون والألم . . وعلمت منها — بعـد أن سألتها — ما يأتى :—

كان والدا الميت يسكنان في هذه القرية منذ الصغر . في كوخ صغير . وكانا يعيشان على نتاج حديقة صغيرة لهما معيشة متوسطه . . وكان لهما ابن وحيد ؛ كبر بعد أن قطعا معظم مراحل الحياه . .

آه ياسيدي — قالت المرأة لى — لقد كان شابا لطيفاً ؛ ذا أخلاق طيـبة ؛ يشفق كثيراً على من هم دونه ، يقوم بواجباته نحو والديه حق القيام .. ما أجمله حينما كان يخرج

في أيام الآحاد ، مرتدياً أبهى ما عنده من ملابس ، يفتر ثغره الجميل عن ابتسامة عذبه ؛ وهو متأبط ذراع أمه العجوز وذاهب الى الكنيسه — وكانت هي تحب سيره معها وتأبطه ذراعها محبة شديده — كانت هذه المسكينة معجبة ومخورة به .. فقد كان حقيقة أقوى وأجمل شاب في القريه ..

ولسوء الحظ صار ذلك الشاب نوتياً في قارب يمخر عباب النهر المجاور .. ولم يمض وقت طويل حتى اختفى مع جماعته وأيقن الجميع أنهم غرقوا . وعند ذلك حزن الاب حزناً شديدا وجره حزنه الى القبر . فظلت الارمله وحيدة مريضة ؛ الا أنها شفيت . وكانت تعيش على نتاج تلك الحديقه التي تكرم بعض القرويين بزرعها لها بدون أجر ..

وفي ذات يوم بينما كانت تجمع بعض الخضروات لغذائها ؛ طرق سمعها صوت فتح باب الحديقة ؛ ودخل رجل غريب يرتدي ملابس بحـــار . وكان أصفر الوجه ؛ تدل نحافه جسمه على ما قاساه من متاعب وأهوال

رآها ؛ فهرع اليها ، وركع أمامها كطفل صغير ! ..

فنظرت اليـــه المرأه المسكينة بدهشة ، وعجبت لركوعه ، ولـــكنه قال :

ـــ آه يا والدتى ..ياوالدتى العزيزة ... ألا تـــعرفين ابنك ... ابنك جورج ...

وعرفت أنه ابنها الذى ظنت انه غرق .. ابنها الذى تجول وقاسى كثيرا ... ولكنه عاد اليها ثانيه : .. أجل ؛ عاد اليهـــا ثانيه...

ولست أحاول وصف ذلك اللقـــاء الذى امتزج فيه الحزن بالفرح ... انه حي يرزق .. .وقد رجع ثانيا بعد غيبته الطويله .. رجع لـــكى يدافع عنها في وقت شيخوختها ولـكى يمهد لها أسباب الراحة ابان ضعفها وحاجتها ..

وحينما سمع القرويون أن جورج سو مرس عاد ازدحموا لرؤيتـــه ، مظهرين له كل دلائل الحفاوة والفرح .. كان ضعيفا .. يتكلم بصعوبة كلية .. ولذ لم يكن يسمع كلامه أحد سوى أمه الملتصقة به ..

ولزم الفراش أخيرا ..وظل مريضا .. يذكر أيام صباه الحلوه التى انقضت في تلك الربوع الجميلة .. وبجانب سريره

كانت أمة تجلس ، ولاتفارقه الا نادرا .. حينما ترغمها الظروف على ذلك ..

هنالك ياسيدي ـ بجانب ذلك السرير ـ كان ملاك الحنان والمحبة الوالدية التي تفوق الوصف ممثلا في شخص تلك العجوز المسكينة .. لم تفكر في نفسها ولم ترحم ضعفها ولو مره واحده..

آه .. ما أعظم محبة الام .. انها تضحي براحتها في سبيل راحة ابنها. تعمل كل شيء لكي تسره وتبهجة .. تقاسمه غناه وفقره ، سعادته وشقاءه .. واذا ما أصابته النوائب يصير أعز لديها أكثر من قبل .. واذا ما وصم بلطخة عار وابتعد عنه الجميع ، لاتتركه ، بل تتبعه أنى ذهب ، وتكون له مدافعه جهد طاقتها .. واذا ما وقف العالم كله أمامه.. تقف وتصادم ذلك العالم .. وتكون قوية .. أجل ، قوية بحبها ..

كان جورج ينظر أبان مرضه الى أمة دائما .. اذا تحركت يتبع حركتها بنظره . . وكانت تجلس ساعات متواليه بجانب فراشه ترقبه وهو ينام ؛ وفي بعض الأوقات كان يستيقظ فزعا من حلم مخيف . . وينظر حوله فيراها

بجانبه ، فيأخذ يدها بين يديه ، ويضعها على صدره ؛ ثم ينام ثانية كطفل صغير

وظل كذلك الى أن فارق الحياه .

✲✲✲

كان أول ما قمت به بعد أن سمعت هذه القصه ، أن ذهبت الى كوخ الارملة، لأقدم لها يد المساعده ،ولأعمل كل ما يؤول الى تعزيتها . . ولكني وجدت أن القرويين قد قاموا بكل ما يجب عليهم نحوها . وبما أن الفقير يعرف أكثر كيف يعزى ويساعد أخاه الفقير، لم أجد فائدة لوجودى وعددته تطفلا ، فتركتها ومضيت .

وفي يوم الاحد التالى ذهبت إلى كنيسة القريه ، فوجدت الارملة نفسها جاثية على احدي درجات الهيكل

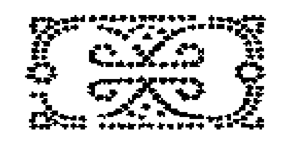
نظرت الى ما حولى . . الى التماثيل والنصب الرمزية التى كانت تمثل هيئة الذل والالم والخشوع . ثم حولت نظرى الى تلك الارملة الفقيره : الرازحة تحت أثقال السنين والحزن والاسى .. الجاثية أمام هيكل الرب . المتضرعة الى الله بقلب منكسر . . شعرت أن ذلك التمثال الحى أفضل بكثير من

تلك النصب الكثيرة الباردة .. لأنه يمثل الحزن والخشوع حقيقة لا كذبا ..

رويت تلك القصة على مسامع جمع من الناس، فاصابتهم هـذه .. وصمموا على أن يبذلوا الجهد لكى يريحوها ويخففوا عنها الحزن ..

الا أنها كانت تسير نحو القبر بخطى واسعة !!

وبعد أسبوعين .. في يوم أحد .. بعد أن بارحت الكنيسة، سمعت ، لعظيم حزنى ، أنها لفظت النفس الأخير ، وأنها ذهبت لتلاقى أولئك الذين أحبتهم كثيرا .. هناك .. في ذلك العالم المنير المملوء بالسعادة والسلام



الاخوان[1]

في ليلة من الليالى المقمرة ، استيقظ أخوان وأخذ كل منهما يفكر في كيف يجلب الخير والسعادة الى أخيه

فقال الاكبر لزوجته :

ــ مسكين أخى .. انه وحيد في هذا العالم . ليس له أطفال يعزونه ويبددون سحائب الحزن اذا ما تكاثفت على فؤاده..وليس معه أحد يساعده في أعماله ويعينه على تمهيد طريق حياته الشاق

«انى سأقوم الآن الى الحقل ، وأحمل بعضاً من نصيبى في الغلال وأضعه على نصيبه : بينما هو يكون نائما لا يشعر بذلك .. فلا يستطيع أن يرفض هذا العطاء ..»

وفى ذلك الوقت كان الاصغر مستيقظاً يفكر ، وأخيراً استقر على رأى : فقال في نفسه :

---

(١) نشرت في جريدة السياسة الصادرة يوم ٢٩ أغسطس سنة ١٩٢٤

« ان لأخي زوجة وأولاد . . وليس من العدل أن آخذ من المحصول مثل ما يأخذون . .

« يجب على أن أنهض الآن وأذهب الى الحقل . . . وأضع بعضاً من نصيبي على نصيبه ، بحيث لا يشعر . فلا يرفض عطائي هذا . . »

✫✫✫

وحمل كل منهما جزءاً من كومته وذهب ووضعه على كومة الآخر

فلما أصبح الصباح أعترت كليهما الدهشه ، فقد رأيا أن الحال كما كانت قبلا . . .

فلم ينقص نصيب كل منهما ولم يزد ! .

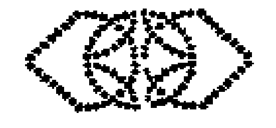
كررا عملهما هذا مراراً كثيرة : الى أن تقابلا مرة في الطريق ! ..

فوقفا مبهوتين حائرين

وأخيرا اغر ورقت عيناهما بالدموع

وتعانقا طويلا . .

فقد عرف كل منهما ما انطوت عليه نفس الآخر من
حب و خلاص
وأشرقت الشمس ـ فأرسلت قبلتها الا ولى اليهما
وهما متعانقان . .



دموع طفل [1]

آه . . نادوا لى أخى العزيز
فانى لا أقدر أن ألعب وحيدا
لقد أتى الصيف بوروده وأزهاره
فأين ذهب أخي الآن ، . .

✲✲✲

أخذت الازهار فى الذبول
تلك الازهار التى غرسناها سويا
وتدلت أغصان الـكرمه
فبدت ثمارها تلمع تحت أشعة الشمس
آه . . نادوا لى أخى الحبيب

✲✲✲

انه لايسمع نداءك يا بنى
فعبثا تنادى وعبثا تصيح

(١) نشرت في جريدة السياسة بتاريخ ١٩ اغسطس سنة ١٩٢٤ وفي مجلة الشرق والغرب عدد نوفمبر سنة ١٩٢٤

انك لن ترى على هذه الارض المظللة بأغصان الشقاء
ذلك الذى يشبه ابتسامه الصيف العذبه

✡ ✡ ✡

لقد قضى حياته القصيرة ؛ التى وهبت له
في رياض السعاده والهناء
فالعب وحيدا يا بني . .
فان أخاك في السما . .
وهل ترك طيوره وازهاره يا أماه؟ . .
وهل سيكون ندائى كصرخه فى واد ؟ . .
ألا يعود ثانيا ؟
فنقضى معا ساعات الصيف الطويله

✡ ✡ ✡

وهل أنطوت صحيفة تجولاتنا ؟
في قلب الغابه بين الاشجار الكثيفه
آه . . هل كانت جمره حبي تتقد حينما كنا نلعب سويا؟
كما هى متقده الآن .

القصاص(١)

« . . . وعندما أرسلت ابني الوحيد الى ميدان القتال ليدافع عن وطنه ؛ امتلأت نفسي بالفرح والكبر . . وأيقنت أنه لم يفعل والد في معالم مثلما فعلت . . :

« ولكن واأسفاه يا مستر ألن . . لقد هدم ابنى صرح آمالى وأمانى . . كلا . . لم يكن هو الهادم . . ولكن هو الحظ السيء . . .

« لقد نام دقيقه واحده وهو في مركزه أثناء الحراسه . انى موقن أنه لم ينم سوى دقيقه واحده . . فان جورج لا يهمل واجبه قط مهما كان الامر . . وخصوصا اذا كان خطيراً كهذا . .

« انى أعرف لماذا نام تلك الدقيقه . . . انه صغير أيها الصديق ؛ وليست عنده القوه الكافيه لمقاومة متاعب الجنديه . . فهو لم يتجاوز الثامنه عشره بعد . .

---

(١) نشرت في جريدة السياسه الصادرة يوم ٨ ستمبر سنة ١٩٢٤

« والآن فهم سيعد مونه رميا بالرصاص لانه وجد نائما أثناء ادائه واجبه . . بعد أربع وعشرين ساعة .. بعد أربع وعشرين ساعة فقط سيقضى الامر . . هذا ماعرفته من الرسالة البرقيه التى أرسلت الى . .

« آه . أين جورج . الآن . . أين أنت ياولدى الحبيب : »

فقال المستر ألن بصوت خافت :

— لاتقنط من رحمة الله أيها الصديق .

— نعم . نعم . دعنا نؤمل .. فان الله عادل رحيم .

« أنى لاذكر تلك الكلمات التى قالها لى حينما كان صغيرا وهي : انى أشعر بخجل عظيم أيها الوالد العزيز حينما أفكر بانى لا استعمل هذا الذراع القوى — رافعا يمينه فى وجهى بكبرياء وعظمة — فى سبيل نفع وطنى حينما أصير رجلا ..

« وعندما كان على أهبه السفر ذكرته بهذه الكلمات ... وقبلته قبلة الوداع قائلا : اذهب وليحرسك الله ويرعاك ...

« وها قد حفظه لى . ها قد حفظه لى . يامستر ألن »

وكانت لويز ـ أخت الشاب ـ جالسه وكلها آذان صاغية وقد احمرت عيناها من البكاء ، ورسمت الدموع على وجهها الصغير خطوطا كانت تلمع على ضوء السراج

وطرق الباب طارق ، فأسرعت وفتحته ، وجاءت الى الغرفة وفي يدها رساله

وبالجهد تمكنت من أن تقول:

ـ انها منه... انها منه...

فوثب الوالد واختطفها ؛ ولـكنه لم يقو على فضها لعظم اضطرابه ؛ فتناولها المستر ألن وفض غلافها وقرأ ما يأتى

والدى العزيز:

انى على حافة القبر . وقد أكون قد اجتزت بابه قبل أن يصل خطابى اليك . فانى لا أعلم متي يسقط سيف القضاء على عنقى الممدود . .

لقد بدا الامر مخيفا أمام نظري في أول الامر . . ولـكني فكرت فيه كثيرا حتى فقد طلاءه المرعب ، وصار الآن كانه شيء عادى لا يؤبه له . .

لقد قالوا الى انهم سيمتنعون عن وضع عصابة على عيني وهذا من حسن حظى .. اذ يمكننى الآن مقابلة الموت كرجل شجاع ..

لقد ظننت ياوالدى العزيز أنى سأموت في ساحة القتال وفي سبيل وطنى المفدى وأنى حينما أخر صريعا سيكون في سقوطي رفعة لشأن مملكتي ولكن واأسفاه فانى سأرمي بالرصاص كمجرم اثيم سأموت لانى أهملت واجبي أواه ياوالدى ان مجرد الفكر في ذلك يكاد يقتلنى

ولكن سأقول لك ما في الامر . سأبوح لك عما يكنه فؤادى ، كى تذهب الى رؤسائى و تخبرهم بذلك السر حينما يضمني الموت الى احضانه

أنت تعلم اني وعدت والده جيمس باني سأنظر الى ولدها بعين الرعاية . وقد بررت بوعدى ، فأنة عندما اصابته سهام المرض فعلت كل ما قدرت عليه من أجله . وعندما أمر بالمسير معنا لم يكن قويا القوه الكافية لحمل امتعته ؛ فحملتها له بجانب امتعى

وفي الليل تضاعفت سرعتنا ، فبدأت أشعر بثقل حملى وكان كل واحد منا يكاد يسقط تعبا واعيــاءا وخصوصا جيمس المريض. واني موقن أنى اذا كنت امتنعت عن اعطائه ذراعى ليتوكأ عليها لتعذ رعليه المسير

وعندما وصلنا المعسكر ، شعرت بانه سيغمي على من التعب . وكانت تلك الليله نوبة جيمس فى الحراسة . فجعلت نفسى بدلا عنه

ولم أقدر ان أقادم تيار النوم الجارف ، فاستسلمت اليه ولم استيقظ الا حينما كان الوقت قد فات . .

وعند ذلك صاح الوالد بفرح قائلا :

— بورك فيه من ابن شجاع . . انى اعرف أن جورج لاينام بدافع الكسل . .

واستمر المستر ألن في القراءة .

لقد قالوا لى اليوم أنهم سيمنحونني وقتا قصيرا لأكتب فيه لك هكذا قال الكولونيل . سامحه ياأبتاه فهو لم يفعل سوي واجبه ، ان منتهي سروره أن ينقذني ، ولكن هيهات

فأن ذلك فوق اقتداره

ولا تحقد على جيمس المسكين . لقد كسرت هذه الحادثة قلبه ، وهو لا يفتر عن البكاء والرجاء لكي يموت بدلا عني .

انى لا احتمل التفكير في لويزا الصغيرة المحبوبة أبذل كل ما فى وسعك في سبيل راحتها ياأبتاه أخبرها بانى قد مت كرجل شجاع ؛ وأنه حيما تطوى صحيفة هذه الحرب المشؤومة ستفتخر بي ولا تحتمل أسيء عار من أجلى ليساعدني الله فان هذا كثير كثير جدا

الوداع ياأبي العزيز . . الوداع .

يخيل لى أنى أرى الابقار آتية من المرعي على ضوء القمر وورائها لويزا واقفة على رابية مرتفعة تنتظرنى . ولكن هيهات . . فانى لن عود . .

ليباركـكم الله ، سامحوا جورج ، ذلك الشاب التعس الذى سبب لكم آلاما كثيرة .

جورج

...

وانتصف الليل

ففتح الباب بهدوء ، وخرجت منه فتاة هي لويزا ؛ واندفعت في الطريق المؤدى الى المحطة

وكانت تمشي مشيا سريعا متواصلا ، ولم تحرك رأسها شمالا أو يمينا ، وكانت يداها موضوعتان على صدرها بهيئة صليب ، وشفتاها تتمتم من حين الى اخر بضع كلمات خافته

ومرت ساعتان وصلت في نهايتهما الى المحطة . ووقفت هناك منتظرة القطار

وحينما جاء حارس المحطه ليقودها الى القطار وقف مندهشا حائرا فقد كان وجهها مبللا بالدموع

سألها بضعة أسئلة ؛ فعرف كل شيء ، عرف ما انطوت عليه نفس تلك الفتاة من شجاعة واخلاص

فوضع يده على كتفها ، ونظر اليها نظرة عطف لا توصف ، وهي في ذلك الوقت أحوج الى العطف عن أى شيء آخر

وكانت ذاهبة الى واشنطن لتطلب من الرئيس «لنكولن» حياة اخيها

خرجت من المنزل بدون علم والدها بعد أن تركت له ورقة صغيرة تنبئه بما عولت عليه ؛ آخذة معها خطاب أخيها

وفي الصباح وصلت نيويورك مع الحارس ذلك الرجل النبيل الذى أبى أن يفارقها لحظة أبى ان يتركها وحيدة تحت رحمه الاقدار

ووصلا واشنطن بعد وقت قصير فذهبت لويزا حال وصولها الى «المنزل الابيض»

وكان الرئيس جالسا على مقعد يباشر عمل الصباح يوقع على بعض الاوراق وينظر في الاخرى

في ذلك الوقت فتح الباب بهدوء ودخل منه لويزا بوجه شاحب ويدين مرتجفتين ومشت قليلا حتي وقفت بجانب الرئيس

فقال لها بصوته اللطيف:

حسنا أيتها العزيزة . ماذا تريدين ؟وماسبب هذا الاضطراب البادى على وجهك ؟ ..

— انى اريد حياه جورج ياسيدى . حياه جورج

— جورج ! . . ومن هو جورج ؟

— هو أخى يا سيدى . . هو أخي سيقتلونه سيقتلونه رميا بالرصاص لانه وجد نائما في مركزه

فقال لنكولن بعد ان نظر الى الاراق التي أمامه :

— نعم نعم لقد تذكرت انها كانت نومه خطره يا بنيه اذ ان آلافا من الارواح كادت تضيع بسبب اهماله هذا

فاجابت بحزن :

— هكذا قال والدى ولكن جورج كان تعبا جدا يا سيدي وكان جيمس مريضا ؛ فعمل عمل اثنين وكانت نوبه جيمس في الحراسه وليست نوبته ولكن جيمس كان تعبا جدا ولم يفكر جورج في نفسه

— ماذا تقولين يا أبنتى ؟ تعالى هنا اقتربى منى انى لا افهم ما تقولين !

وضغط الرجل الحنون على ورقه كانت في يده ليخفى تأثره

فاقتربت لويزا منه حتي التصقت به فوضع يده بحنان على كتفها ؛ وحول بالاخرى وجهها الاصفر نحوه فاخبرته بحكايتها وأعطته خطاب جورج ؛ فقرأه ببطء وتمعن عظيمين

وأخذ قلمه ؛ ثم كتب بضعة سطور على ورقه ؛ ودق جرسا

وسمعته لويزا يقول للقادم :

ــ أرسل هذه الورقه في الحال

عند ذلك تحول الرئيس نحو الفتاة وقال :

ــ اذهبي الى المنزل يا أبنتي وأخبري والدك بان حياه ولده أثمن من ان تضيع هكذا اذهبي أو انتظرى الى الغد فسيحتاج جورج الى وجه حنون ليراه بعد أن ظل شبح الموت متمثلا أمامه أثناء تلك الساعات الطويله

فقالت لويزا

ــ ليباركك الله يا سيدى... ليباركك الله

***

ومر يوم .. فأتي الجندى الصغير الى المنزل الابيض مع اخته الصغيرة، وكان الرئيس قد استدعاه الى غرفته الخصوصيه وهناك قال له :

ــ « ان الجندى الذى يقدر على حمل امتعة جندى آخر مريض علاوة على أمتعته ويحكم عليه بالموت بسبب ذلك بدون أن يفوه ببنت شفة ليستحق لقب بطل شجاع .. وليس من العدل أن يموت الشجاع »

وسافر جورج ولويزا الى بلدتهما وكانت الجموع تتزاحم على المحطة لتوديعهما

وهناك في المنزل الصغير ارتمى جورج بين ذراعى والده الذى صرخ بصوت عال :

ــ ليتمجد الله

وقد تدحرجت من عينيه دمعة بللت وجنتيه الذابلتين

«على فراش الموت»

وأخذنا نرقب تنفسها طول الليـل
تنفسها الخافت المضطرب !
حينما كانت موجه الحياة تأتى وتروح في صدرها الضعيف

***

تخاطبنا ولكن لم يسمع لنا صوت
وتمشينا وكأننا لم نتحرك!
ووددنا لو نبذل قوتنا ودماءنا
لكى يختفى عنها شبح الموت!

* * *

رجونا ولكن ليس هناك رجاء
فقد قطع سيف اليأس حبل الامل
فكنا نظنها رفاتا ان كانت نائمة

---

(١) نشرت جريدة السياسة يوم ٥ اغسطس سنة ١٩٢٤ وفى مجلة الشرق والغرب عدد نوفمبر سنة ١٩٢٤

ونائمة حينما كانت ميتة ! . .

***

وعند انبثاق الفجر
أغمضت عينيها بسكون
ولفظت النفس الاخير
تاركة عيوننا مغرورقة بالدموع

***

وأشرقت الشمس
ولكن خيل الينا أن أشعتها الذهبية قد خالطها سوادقاتم
وأخذت الطيور تغرد في الحديقة
ولكن خيل الينا أن تغريدها بكاء وتحيب

***

وقد تكرم حضرة الشاعر الكبير احمد افندي نسيم
في عدد السياسة الصادر يوم ٨ اغسطس سنة ١٩٢٤
بذكر ما يأتي وتحويل هذه القصيدة المنثورة من النثر
الى النظم

حضرة صاحب العزه رئيس تحرير السياسة

اقترح على احد أصدقائى ان انظم القطعة التى عربها حضرة الفاضل «عزيز عبد الله سلامة» من شعر الشاعر «هود» تحت عنوان على فراش الموت وقد نشرتها السياسة تحت عنوان (شعر منور) مع قطع غيرها وقد لبيت هــذا الاقتراح ووضعتها في قالب مصوغ من الشعر المنظوم وفي الحقيقة انه لا فضل لى في ذلك لانى انما اهتديت بنبراس المعرب الذى اجاد التعريب حتى لم أجد لى مندوحة من الخروج عن الفاظه. «العفو العفو!» وهى:

على فراش للموت

اخذنا نراقب بين الدجى ... تنفسها الخافت المضطرب
بحيث الحياه لها موجه ... تروح وتغدو بصدر يجب

✲✲✲

تخاطبنا وكأن لا مجيب ... وتدفعنا وكأن لاحراك
وددنا لو انا بذلنا القوى ... وزا كي الدماء لدرء الهلاك

✲✲✲

رجونا فخاب هنالك الرجاء　　وقد قطع اليأس حبل الامل
ونحسبها حين نامت رفاتا　　ونائمه حين حم الاجل

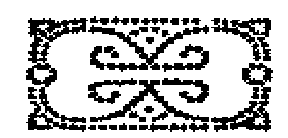
***

وعند انبثاق السنا غمضت　　مآقيها بسكون يروع
وقد لفظت نفسا واحدا　　وخلت مآقينا للدموع

***

وأشرق الشمس رأد الضحى　　فخلنا اشعتها من سواد
وغردت الطير في روضها　　فخلنا الغناء نحيب الحداد

احمد نسيم



الخريف(١)

قالت الرياح ذات يوم لاوراق الاشجار :

— تعالى معي .. ايتها الاوراق الصغيرة .تعالى معى الى المروج الجميلة الخضراء . .

«اخلعي ذلك الثوب الاخضر .. والبسي ثوبك الاصفر الذهبي . :

« لقد ذهب الصيف وأتى الخريف . . فتعالى معى . »

***

وسمعت الاوراق نداء الرياح ؛ فسقطت على الارض الواحده تلو الاخرى

وطارت الى الحقول مغنية أنا شيدها العذبة بصوت مضطرب ؟ .

الا أنه جيل محبوب

---

(١) نشرت في جريدة مصر بتاريخ ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٢٤

التطير (١)

ذهبت ذات يوم لتناول طعام الغذاء مع صديق قديم فوجدت عائلته في حالة ارتباك عظيمة. سألته عن ذلك فاجابني بأن زوجته رأت حلما غريبا فهي متشائمه منه وخائفه من أن يصيبهم ضرر من جرائه

جاءت الزوجة. ورأيت سحب الحزن متكاثفه محياها الجميل كانت صامته هادئة الا ان صمتها وسكونها لم يكونا لينشران في الفؤاد راية الاطمئنان

جلسنا جميعا لتناول الطعام. ورأت الزوجة أن من واجب الضيافه أن تتكلم فرسمت على فمها ابتسامة كئيبة مصطنعة وقالت بصوت متقطع:

— ياله من حلم فظيع. ان الغريب الذى رأيته البارحة واقفا في الغرفة قد أخافني كثيرا. لا شك أن المصائب ستنقض على رؤوسنا.

---

(١) نشرت في العدد السادس من مجلة التاج الذهبي الصادر يوم ٣٠ اكتوبر سنة ١٩٢٤

ثم صمتت

اخذت بعدذلك اتحدث مع صديقي في شؤون عائلية الى أن قطع حديثنا صوت ابه — وكان طفلا صغيرا — وهو يقول لامة ان المعلم أمره بأن يذهب الى الكنيسة يوم الثلاثاء المقبل

فصرخت الزوجة قائلة ،

— الثلاثاء ! . . كلا يابني . . لاتذهب يوم الثلاثاء . . أخبر معلمك بان الاحد يكفي . إياك أن تذهب يوم الثلاثاء

فارتعدت فرائص الطفل

***

طلبت مني الزوجة أن أحمل اليها قليلا من الملح على طرف سكيني . فأجبت طلبها بسرعة سببت سقوط جزء مما حملته . فارتعشت المرأة ارتعاشا عظيما واصفر وجهها اصفرارا رائعا . .

وقالت بصوت مرتجف :

— ماأسوأ حظنا ! . ان البلايا تأتي الينا دفعة واحدة . .

انها لاتأتى متفرقة ..

ثم قالت لولدها :

. لقد ماتت الحمامة الجميلة التى كنا نحبها كثيرا . . .
ماتت حينما نثرت الخادم الملح على المائدة .. ألا تذكر ذلك ..

فقال الطفل :

ــ نعم .. وزيادة على ذلك فقد جاءتنا أنباء محزنة في ذلك اليوم .

* * *

وان في امكان القارىء أن يدرك موقفي في ذلك الوقت لقد أصبحت مكروها من الزوجة وابنها ؛ وربما تكون عدوى الكراهية قد انتقلت الى فؤاد الزوج ، فاني رأيته في كثير من الاوقات يحنى رأسه موافقا على ما تقول زوجته

أخذت التهم طعامي بسرعة لكي أذهب الى حال سبيلي . وفي اثناء ذلك نظرت الزوجة الى سكيني وشوكتي فرأتهما موضوعتان في الطبق الواحدة على الاخرى بهيئة صليب . فطلبت مني أن أضعهما خارج الطبق بجانب بعضهما ، ففعلت

ذلك بدون ان أفوه ببنت شفه

لم افهم معني لهذا الطلب الغريب . ولـكن ربما يكون هناك ضرر من وضعها على هذه الهيئة . فكرت كثيرا من ماهية ذلك الضرر ولكن لم أهتد الى شيء

* * *

خرجت من المنزل بفؤاد مثقل بالهموم والاحزان : وحينما وصلت الى مأواى ارتميت على مقعد : ولم ألبث أن تهت في بيداء التفكير .

تحل المصائب بكثير من الناس من جراء تطيرهم: ذلك التطير الذى يمثل لهم الهين صعبا والخير شراً : انه يلقى على بصيرة الانسان غشاء يحجب عنه شمس الحقيقة

لا يكتفي الانسان بتلك المصائب التي تعكر مجرى حياته من حين الى آخر . بل يحول بارادته كثيرا من الامور العادية الى بلايا عظيمة. وبذلك يقاسي آلاما كثيرة من جراء حوادث لا يجب على احد أن يعيرها أقل التفات .

لقد رأيت أناسا يخيفهم تحرك نجمة في السماء ، ويرجفهم

صياح بومة في منتصف الليل يطرق آذانهم صوت حشرة مخصوصة مثل زئير أسد عظيم، لانهم يتشاءمون منها ويعدون صوتها مجلبة لكل شر وبلاء

ان الجنس البشرى مصاب بأمراض كثيرة : قليلون هم الاصحاء ...بحثت كثيرا لكي أعثر على أحدهم . . ولكن بحثى الى الآن لم يسفر عن نتيجة



(الى القمر)[١]

أيها القمر ..

ماهذا الاصفارار البادي على وجهك الجميل ؟ ..

أهو نتيجة ماتلاقى من تعب وعناء ؟ ..

عند تسلقك صفحة السماء

بلا رفيق ولاصديق

☆☆☆

انك تتغير دائما .. أيها القمر

فانت مثل عين ساهره

ترى دائما مايؤلم ويحزن

فتطبق جفنيها متألمه

وتفتحها لتطبقها ثانيا ..

---

(١) نشرت في جريدة مصر

زوجة الجندي [1]

والى المنزل حملوا زوجها جثة هامده
فأنت أنة ضعيفة . . ووقفت لاتبدى حراكا
فصاح جواريها بصوت واحد :
يجب ان تبكي فالدموع خير عزاء للحزين! ..

***

وباصوات ضعيفة خافته
اخذوا يتغنون بذكر فضائل الميت قائلين :
انه مستحق لكل محبة .
فهو الصديق المخلص والعدو النبيل .
فلم تفه بكلمة . ولم تسكب دمعة .

☆☆☆

وبخفه قفزت احدى جواريها
الى سرير الجندى الشهيد! .

---

(١) نشرت في العدد ٨٣ من جريدة الصباح الصادر يوم ٢٢ فبراير سنة ١٩٢٤

وازاحت الغطاء عن وجهه الأصفر الجميل
فلم تتحرك الزوجة البائسه
ولم تسكب دمعة !

***

الى أن قامت عجوز تبلغ التسعين
ووضعت ابنها الصغير على ذراعيها الممدودين
فهطلت دموعها كالمطر ! . .
وصاحت بصوت متقطع قائلة :
ولدى . . ولدى الحبيب ،
انى سأعيش لأجلك ! .

رجل القرية

لاشك ان الذي قام بسياحة في اعالى نهر الهدسون يتذكر جبال «كاتسكيل» : انها فرع من جبال «أبالاكين» العظيمة التي ترى في غرب النهر تناطح السحاب وتهزأ بالزمان

كل تغير في الجو أو الفصول يؤثر في لون تلك الجبال وشكلها ولذا فهي عند أهال تلك الجهات بمثابة البارومترات

وحينما تتجمع الابخرة حول قممها نرى من تأثير اشعة الشمس كأنها تيجان ذهبية غاية في الجمال وحينما يكون الجو صحوا هادئا ترتدى بأردية بنفسجية زرقاء تأخذ بمجامع القلوب

على سفح تلك الجبال قرية كبيرة ؛ تبدو منازلها للناظر من خلال أغصان الاشجار

كان يعيش في تلك القرية رجـل طيب القلب اسمه «ريب فان ونكل» ؛ يحبه الجميع لسماحة أخلاقه ولين عريكته

كان أطفال القرية يصرخون صراخ الفرح والسرور كلما مر بينهم ؛ لانه كان يصنع لهم ألعابهم ؛ ويعلمهم كيف يرسلون

الطيارات الصغيرة في الجو ، ويقص عليهم القصص المشوقة الجميلة

وكان لايرفض مساعدة أحد ولو كان العمل شاقا متعبا . . يبادر مسرعا عند أول اشارة ، تاركا أعماله الخصوصية ولذا اقفرت مزرعته لعدم اهتمامه بها والتفاته نحوها

* * *

كان ريب تزوجا وقد اعتادت زوجته أن تقرع باب سمعه يوميا ، ذامه وشاتمه اياه لاهتمامه باعمال غيره وتركه اعمال نفسه ؛ تلك الامور التي جرت عليه وعلى زوجته وابنائه الضرر العظيم . وكان لايجيبها بسوى هز أكتافه وخروجه من المنزل هاربا منها ؛ يتبعه كلبه الامين « وولف » ينطلق الى الغابة وبيده بندقيته ، ويجلس هناك في ظل شجرة عالية وبجانبه كلبه ، ذلك الكلب الذي كان محبوبا لديه

في يوم من أيام الخريف الجميلة ، سار ريب بغير هدى حتى وصل الى قمة عالية من قمم جبال كاتسكيل ؛ وكان الوقت ظهرا

أصابه التعب أخيرا ؛ فارتمي على الارض الخضراء وكان يبدو للناظر من تلك البقعة مناظر شتي آية في البداعة والجمال :.

نظر ريب أسفله ، فرأى عن بعد نهر الهدسون العظيم تسير مياهه في صمت وهدوء ؛ يموجسها النسيم العليل ..

وأخيرفسمع صوتا يناديه

فالتفت حوله ولكنه لم ير سوى غرابا محلقا في الفضاء

وعاد الصوت يناديه

— ريب فانه ونكل ... ريب فان ونكل ..

وفى تلك اللحظة نبح وولف نباحا ضعيفا ؛ وحول وجهه الى جهة معينة

☆☆☆

رأى ريب فى الجهه التي نظر اليها الكلب رجلا يكاد ينوء تحت برميل ثقيل

أشار اليه الرجل ـ وهو الذي ناداه ـ بأن يأتى ويساعده

فأسرع ريب نحوه ؛ كعادته ، وحمل البرميل بدلا عنه

وسار الاثنان مسافة طويلة؛ بين الصخور والوديان

الى أن وصل،الى بقعة ضيقة تحيط بها الصخور العالية من كل جانب

رأى ريب في تلك البقعة جمعا من أشخاص غريبي الشكل والملابس، تبدو عليهم دلائل القسوه والتوحش؛ وهم يلعبون لعبة لم ير أحداً يلعبها أمام نظرة من قبل

✡✡✡

وقف أولئك الرجال على أقدامهم حالما رأوا ريب ثم نظروا اليه بأعين تتجلى فيها آيات الفظاعة والهول، فارتعدت فرائصه؛ وكاد يغمى عليه من الخوف

وضع البرميل على الارض؛ فتقدم أحدهم؛ وفتحه؛ ثم ملأ كل منهم كاسا كبيرة ن الخمر الذي بداخله ..وأشاروا الى ريب أن يقف في خدمتهم؛ فأطاع وهو يرتعش. وبعد أن فرغوا من الشرب رجعوا الى لعبهم السابق

اقترب ريب خفيه من البرميل بعد أن تلاشى الخوف من فؤادة ثم ملأ كأسا، وشرب مافيها جرعة واحدة لشدة ظمئه

ولما لم يره أحد عاد فملأ الكأس وشربها ، وأخيرا شعر بضعف في حواسه .. ولم يلبث أن زاغت عيناه ؛ ومال رأسه الى الامام ، ثم سقط على الارض وأدركه سبات عميق

***

أفاق فوجد نفسه مرتميا على تل أخضر ؛ وكان الوقت صبحا ، وأشعة الشمس كأسلاك من الذهب . وكانت الطيور ترفرف بأجنحتها الجميلة مغرده تغريدا شجيا

نظر الى ماحوله ثم قال :

ــ لقد نمت هنا طول الليل !.. لا شك في ذلك .

وأخذ يستعرض في مخيلته مامر به قبل أن ينام . تذكر رجل الجبل . وبرميل الخمر . والعصابة الغريبة . وأخيراً قال :

ــ آه .. هذه الخمر ... لقد سببت لى البقاء ليلة كاملة خارج المنزل .. ماذا أفعل الآن مع زوجتى ..

تذكر بندقيته وكلبه فالتفت حوله فرأى بجانبه بندقيه ملقاء على الارض ؛ وقد علاها الصدأ بحالة فظيعة وتفكك معظم أجزائها ، فأيقن أن أولئك الرجال قد هزأوا به

وسرقوا بندقيته ، ووضعوا هذه البندقيه الباليه بدلاعنها ..
أخذ ينادي كلبه .. ورددت تلك الأرجاء صدى صوته .. ولكنه لم يأت اليه

***

نهض بكل صعوبة وقال :
ــ ان النوم في هذه الجبال لايوافقي .. فها أنا الآن خائر القوى ....لقد ألقانى أولئك القوم كشيء مهمل ... ويل لهم .. وزوجتي .. لاريب أن المعركة ستكون شديده بيني وبينها ...
ومشى قليلا في طريق يعرفها من قبل ، الى أن حانت منه التفاته ، فرأي مجرى تنحدر مياهه من قمة الجبل
صاح صيحة دهش وعجب ؛ وأخذ يفرك عينيه كأنهما خدعتاه .. لقد زاد تلك البقعة منذ ثلاثة أيام . ولكنه لم يرى ذلك المجرى.. ثم نادى كلبه ثانيه .. فلم تجبه سوى أسراب الغربان المحلقة فى الفضاء .
شعر بالجوع يمزق احشاءه فولى وجهه شطر قريته وهو

حزين وخائف حزين لفقده بندقيتة الجميلة وكلبه الامين وخائف من نبران غضب زوجته

قابله جمع من سكان القرية ،ولكنه لم يعرف أحــدا منهم مع انه يعرف كل سكان قريتة وكانت ملابسهم تختلف اختلافا كبيرا عما اعتاد أن يراه ...

ولم يكد يقع نظرهم عليه حتي أخذوا يضحكون ضحكا عاليا وهم يشيرون باصابعهم اليه وكانت اشاراتم تدل على عجب شديد

ووضع يدة فجأة على ذقنه فوجد لحيته تبلغ من الطول قدما

***

وطئت قدماه ارض القرية فازدحم حولة أطفال لم يرهم قبلا واخذوا يصيحون مشيرين الى لحيته الطويله الرمادية ! بينما اجتمعت الـــكلاب وراءه وهي تنبح نباحا متواصلا

رأى القرية قد ازداد سكانها وصارت منازلها فخمة

بديعة !.. لم يبق لمعظم الا كواخ الصغيرة أثر !.. ورأى أسماء غريبة على الابواب ووجوها غريبة في النوافذ !.. كلما التفت الى شيء رآه غريبا عنه، لم يره قبل أن يفارقها!..

انها قريته لم تتغير .. هناك نهر الهدسون يسير بمياهه الهادئة ... وهناك جبال كاتسكيل بقممها الشامخة .. فما الذى حدث؟..

أصابته حيره شديده وقال :

ـــ آه .. هذه الخمر ... هذه الخمر الملعونة ... لقد لعبت بعقلى .. أجل ... قد لعبت بعقلى ..

☆☆☆

اهتدى الى منزله، فدخله بهدوء وسكون، متوقعا سماع صياح زوجته وشتائمها

رأى المنزل قد امتدت اليه يد الخراب : تهدم معظم جدرانه ونوافذه وصار سقفه على وشك السقوط . ورأى في زاوية مظلمه منه كلبا رابضا

تبينه فاذا به كلبه وولف

ناداه ريب باسمه ، فنظر اليه بخوف ؛ وكشر عن أنيابه ثم خرج هاربا من المنزل

فصاح ريب قائلا :

ـ يا ألله ... لقد نسيني كلبي الامين ... كلبي الذى أحبه كثيرا ... ماأسوأ حظي ! . .

أخذ ينادى زوجته وأطفاله ولكن لم يجبه أحد فقد كان المنزل خاليا مقفرا

وأخيرا خرج يمشي بلاهدي في شوارع القرية . . فسارت الجموع وراءه وهي تصيح مشيرة الى لحيته الطويلة المشعثة ، وبندقيته وأطماره البالية . .

***

شق تلك الجموع الكثيفة حاكم القرية وتقدم من ريب سائلا اياه لماذا اتى ... ولماذا هو بهذه الهيئة الغريبة التى لم ير احد بها من قبل

فصاح ريب :

ـ ماذا تقول ياسيدى ؟ . ، لماذا أتيت ! . أليست قريتي

المحبوبة ! . . الم اقض فيها ايام طفولتى وشبابى ؟ . . آه . :
انى رجل فقير هادىء . فلماذا تفعلون معى هكذا ! . .

وفي تلك اللحظة صاح صائح :

ــ انه جاسوس . . انه مجرم . اقبضوا عليه

فثارت الجموع وهجمت على ريب تريد الفتك به ، وهو يصيح قائلا انه من سكان القرية بارحها منذ يوم واحد ، ولم ينقذه سوى الحاكم بعد جهد ونصب

وبعدها هدأت الجماهير وأخذت تنظر

* * *

سأل حاكم القرية ريب قائلا

ــ أذكر لنا من تعرفهم . .

ففكر هنيهة ثم قال :

ــ أين نيكولاس فيدر ! .

فساد الصمت هنيهه . وأخيراً أجاب رجل عجوز

ــ نيكولاس فيدر ، .لماذا تسأل عنه ؟. لقد مات منذ ثمانية عشر عاماً . . وهو الآن مدفون فى المقبرة القريبة . . .

— وأين بروم دوتشار؟،

— آه . لقد تطوع في الجندية عنـــد بدء الحرب . .
وللآن لم يعد . . يقول البعض أنه قتل . . وينفي البعض
الآخر ذلك . ولا يعلم أحد الحقيقة .

— وأين فان بوميل . . ناظر المدرسة .

— لقد صار قائداً عظيماً ..وهو الآن عضو في البرلمان

***

كادريب يصاب بالجنون عند سماعه هذه الانباء . .
وأخذ يهذى ويغمغم وقد وصل الى أقصى حالات الاضطراب
وكان لايفهم منه الا قوله :

— ما الذى حدث .. ما الذي حدث..

وسأله أحد الواقفين

— من أنت . . وما أسمك. .

فأجاب بصوت عال متقطع .

— أنا . . أنا . . لا أعلم . . لقـــد تحولت الى انسان
آخر . . صرت الآن غيرى بالامس . وأصدقائي . لقد

ماتوا جميعا ! · صرت وحيداً في هذا العالم . . ولكن كيف تقولون أن نيكولاس فيدر مات منذ ثمانية عشر عاماً وقد كنت معه منذ يومين . انى لم انم سوى ليلة واحدة على التل فلماذا تقولون ذلك . .

***

أخذ الواقفون ينظرون الى بعضهم ويهزون رؤوسهم وهم يهمسون قائلين · انه مجنون . . انه مجنون . . ولكنه طيب القلب . . لو كان مجرما لكان أساء الينا عند هجومنا عليه ذلك الهجوم العنيف . .

وفي تلك اللحظة جاءت امرأة ؛ واقتربت من ريب ، وكان بين ذراعيها طفل جميل

ابتدأ الطفل يبكي حينما وقع بصره على الرجل العجوز فقالت له :

— لاتبك ياريب · . انه لايؤذيك :

ولم يكد يطرق أذن ريب صوتها . . حتى التفت اليها وهو يرتعش . . ان اسم الطفل هو اسمه ؛ وصوت المرأة

وشكلها معروفان لديه

وأخيراً قال لها :

ـــ ما اسمك . ياسيدتي .

ـــ جوديت جاردنر

ـــ واسم والدك :

ـــ آه انه ريب فان ونكل المسكين لقد ذهب منذ عشرين سنه وللان لم نسمع عنـه خبراً ٠ عاد كلبه في نفس اليوم الذى اختفى فيه سيده . وكنت فى ذلك الوقت صغيرة .

***

سألتها بصوت مرتجف:

ـــ أين والدتك ! .

فأجابت:

ـــ لقد ماتت منذ وقت قصير . .

وساد الصمت . وبعد هنيهة لم يتمالك ريب نفســه فضم ابنته وحفيده معا الى صدره

وصاح قائلا :

ـ أنا والدك ـ . أنا والدك ـ . انا ريب فان ونكل ـ . أليس هنا أحد يعرفني ؟

فبرزت امرأة عجوز واقتربت منه ؛ ثم تفرست في وجهه لحظة وصاحت ـ

ـ أنه هو ـ انه ريب فان ونكل ـ لقد رجع من غيبته أين كنت ايها الجار القديم ؟ ـ أين قضيت هذه العشرين سنة ؟ ـ

فاجاب بصوت هادىء ، وقد استرد ثباته ورزانته وكان قد أدرك كل ماحدث

لقد نمتها ! ـ لقد نمتها فوق الجبل ! انها مرت مثل ليلة واحدة !

***

وعاش ريب مع ابنته وزوجها الذى كان حد أولئك الأطفال الذين أحبوه قديما وعاد الى تجولاته السابقة ؛ في الغابة وفوق جبال كاتسكيل

لو كنت صوتا (١)

لو كنت صوتا ؛ صوتا مغريا ؛ يقدر على الرحيل في فضاء العالم الواسع ؛ لطرت ممتطيا أشعة شمس الصباح ، مكلما بنى البشر بلهجة لطيفة ساحره ؛ قائلا لهم بأن يكونوا صادقين

لو كنت صوتا ؛ مغريا ؛ لطرت فوق اليابسة والبحر ؛ أينما كان قلب الانسان ، مغنيا أشجى الاغانى ! التى تحبب اليه الصدق وتبعده عن الكذب

. . .

لو كنت صوتا ؛ صوتا يجلب العزاء ؛ لطرت على أجنحه النسيم ؛ باحثاً عن منازل الحزن والشقاء ، لاتلو هناك كلمات التشجيع ؛ وأبدد ظلام القنوط واليأس

لو كنت صوتا ، صوتا يجلب العزاء ؛ لطرت فوق المدينة المزدحمة بالسكان ؛ ولسقطت ؛ مثل شعاع الشمس

---

(١) نشرت فى العدد ٥٢٥ من الطائف المصورة الصادر يوم ٢ مارس ٩٢٥

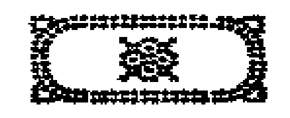
البهيج ؛ في قلوب البؤساء ، معيداً اليهم السرور والامل

لو كنت صوتاً ؛ صـــوتاً يخترق كل مانع ، لبحثت عن ملوك الارض في قصورهم الشامخة ، لاهمس في آذانهم كلمات تهتديهم الى الصواب ان كانوا مخطئين

لو كنت صوتا ، صوتا يخترق كل مانع ؛ لذهبت الى الملوك والعظماء ؛ لاتلو على مسامعهم حقائق وانباء لم يسمعها أحد ، لاردهم بها الى حظيرة العدل ان كانوا ظالمين

لو كنت صوتا ؛ صوتا خالدا ، . لهمست في أذن كل من يصيح طالبا « الحرية » وهو لايستحقها . قائلا له أنه مخطيء في ذلك الطلب

لو كنت صوتا ، صوتا خالدا. لطرت على اجنحة النهار وأنا أصيح . ذاما رذائل ذلك العالم المتماوج . ولعملت كل مافى وسعي لاجعله فرحا سعيدا



امام قبرها(١)

أنثروا على قبرها الزهور
بعد أن تغسلوها بالدموع
فان تلك الدموع الحارة
تطفىء نيران الحزن والالم

* * *

لقد كان العالم مغرما بها
فكلل هامتها بتاج ابتساماته
ورفعها بين ذراعيه
ولكنه وجدها جثة هامده

* * *

انها الآن آمنة سعيده
في وكر الهدوء والسلام
فابتروا بقية زهوركم
واقفلوا راجعين . . .

(١) نشرت في مجلة التاج الذهبي العدد الصادر يوم ٢٣ اكتوبر سنة ٩٢٥

حورية البحر (١)

وفي جوف البحر الهادىء الجميل ، جلست حورية البحر الحسناء على عرش ذهبي بديع، وعلى ركبتيها أطفالها الصغار بينما كان زوجها جالسا بجانبها تلوح على وجهه علامات الفرح والسعادة

في تلك اللحظة وصل الى مسامعهم رنين جلجل صغير فصرخت الحوريه صرخة لذينه ورمقت مياه البحر الزرقاء بنظرها ثم حولت وجهها الى زوجها وقالت .

ــ أريد ان اذهب لارفع صوتي بالصلاة هناك في المعبد القائم بجوار الشاطيء ..

«لا تخف ولا يتطرق الشك الى نفسك فانى أم وزوجة وسأرجع سريعا .:»

فلاحت دلائل الحزن على وجه (ملك البحر) ولكنه قال بصوت خافت :

---

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٤

ـ اذهبي ايتها الحبيبة . :كما تريدين:: وعودى سريعا
عودى سريعا الى عرشك الذهبى :

فافتر ثغرها الجميل عن ابتسامة خلابة وفردت
ذراعيها الى الامام وحملتها الامواج الى الشاطىء

***

ومرت الايام ولم ترجع
وهاج البحر . وارتفع انين الاطفال البؤساء

فحملهم الملك الحزين على كتفه وصعد الى الشاطيء
لينظر تلك التي خانت عهده ومزقت فؤاده بيديها القاسيتين

***

وضع أطفاله في كهف صغير قد حفرته يد الطبيعة
بجانب البحر

ثم سار على الرمال الصفراء ؛ الى أن بدا له المعبد قائما في
وسط حديقة غناء

فأخذته هزة الفرح ، وأسرع ميما نحوه وعلى فمه ابتسامة
الخوف والرجاء . .

* * *

اجتاز الحديقة ، حتي وصل الى سور المعبد؛ فطرقت أذنه أصوات تراتيل الكهنة وابتها لاتهم

واعتلى السور بقفزة واحدة ؛ فرآها من خلال زجاج نافذة كانت أمامه

وكانت راكعة تصلى

فصرخ بصوت عال متقطع ·

ـ مارغريت .. ·أيتها الحبيبة ..أيتها المعبودة.. تعالى سريعا . نحن هنا ..

لقد هاج البحر وارتفع أنين الاطفال.. وهم ينتظرون في كهف مظلم .. فتعالى اليهم ·. تعالى سريعا

* * *

ولكن واسفاه ، فانها لم تعره أدنى نظره ؛ ولم تحول وجهها عن الكتاب المقدس

فأعاد صياحه ثانيا ، وقلبه يدق بشدة ، وعيناه محملقتان في النافذة فرآها وقد أشارت الى الكاهن فجاء وأغلق النافذة

وحجبها عن انظاره ::

ألقي الوالد بنفسه على الارض وقد خرج من صدره أنين محزن وظل في مكانه مدة طويلة وهو لايتحرك

الى أن ثاب الى رشده ، فأخذ يزحف على الارض ؛ زحفا بطيئا متواصلا حتي وصل الى اطفاله الصغار ؛فحملهم بين ذراعيه وولى وجهه شطر البحر

وأخذ يقول لهم بصوت خافت متقطع

ـ تعالوا معي :: تعالوا معى الى اعاق البحر اتركوها فهى وحش ضارى يخيل لى انى اسمعها تغنى

آه ..انها فرحة مسرورة .. فيالها من قاسية . يا لها من قاسية..

***

وصل الى البحر فوقف قليلا ثم حول وجهه نحو المعبد .. وكان يبدو امام نظره مثل نقطة سوداء

تنهد طويلا .. ورفع أطفاله بين زراعيه . ثم القي بنفسه بين أحضان المياه .

كلمات مأثوره[١]

العظيم من كان عظيما في الشقاء عظيما في السجن ، عظيما فى القيود والاغلال

(ديكنز)

المرأة اساس المدنية والعمران

«ديكنز»

كلمات الحق كثيرة في افواه المجانين

«شكسبير»

قيمة الحياة عظيمة في نظر كل انسان أما في نظر الشجاع فانها حقيرة ازاء الشرف

«شكسبير»

يسرنى ان أستفيد من كل رجل شريف

«شكسبير»

الطمع كماء البحر اذا شربت منه يزداد عطشك :

«تنسون»

---

١ نشرت في جريدة مصر يوم ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٢٤

امثال [١]

درهم حكمة خير من رطل ذكاء

الزمان يمضى ولا يعود

اقنع بما قسم لك

سل كيس دراهمك عما تريد شراءه

من يحبه الناس يحبه الله

الغني هو الذى يقنع بما ملكت يداه

البخيل شرير جبان

القوى هو الذى يخضع نفسه



---

١ — نشرت في جريدة مصر يوم ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٢٤

الليل والنهار [١]

اخذ الليل ينظر بحزن الى العالم الحائر القوى المرتمى بين احضانه ثم ابتدأ يتأفف ويتذمر بصوت مرتفع

لقد تعود أن يأخذ الارض بين ذراعيه بعد جهادها الطويل أثناء النهار . كانه أم حنون يرجع اليها وحيدها في كل مساء وهو في حالة يرثى لها

وفي الوقت نفسه كان النهار فرحا مبتهجا؛ ولكن الغيظ والحقد نحو مناظره الليل كانا يشوبان مياه فرحة وسروره

أن غاية الليل في اعتقاد النهار هي أن يعاكسه في كل مرة يشرق فيها بضوئه الساطع، لكي يضع حدا لتلك السعادة التي يلاقيها الانسان في أثنائه

ازداد غيظه فلم يطق صبرا وصاح قائلا:

---

١ نشرت في العدد ٧ من مجلة التاج الذهبي الصادر يوم ٦ أكتوبر سنة ١٩٢٤

ـ أيها الليل لماذا تعوقني عن اداء واجبي؟ لماذا تعاكسني في كل مرة؟ لماذا تسبب لي في كل يوم تعبا ومشقة؟ آه ماذا أعمل لكي أوقف تيار ضررك أنظر الى تلك الاشباح الهائلة والظلمات الحالكة التي أعمل على تبديدها كل يوم قبل أن أنير العالم بضوئي الساطع

ولا أكاد أفعل ذلك حتى اشعر بك تسعى ورائي ولكني عرفت غايتك منذ وقت طويل انك تريد أن تلقي ظلك الاسود المكروه على عالمي الضوء الجميل

فقال الليل

ــ يالك من ناكر للجميل! ألست أنا الذي يقضي دائما وقته في ترميم ما تهدمه؟. انك مضيع للحياة مذهب بالقوة.. في اثنتي عشرة ساعة أستلم منك عالما تعبا حزينا فأرد اليه قوته وأنسيه مراره الاحزان:

كثيرة هي أعمال الخير التي أقوم بها وكثيره هي أعمال الشر التي ترتكبها يأتي الى الكثيرون بعيون مغرورقة بالدموع فأجفف بقبلاتي دموع معظمهم بينما تكون أنت

المسبب لكل ذلك ـ ضاحـكا مسرورا ويداك مخضبتـان بدموع ضحاياك .

فصاح النهار قائلا :

— أصمت ايها الشبح المخيف الذى ترتعد من رؤيته الفرائص وتصفر عند مشاهدته الوجوه . . كيف تتهمني بما أنا برىء منه . . أنظر الى أعمالى تبدو لك الحقيقة عارية ترتعد . . انك تميت الانسان وأنا أحييه . . انه يستيقظ حينما ألمسه ببنانى اللطيف . .

فزأر الليل وقال .

— أنت عامل الدمار . . وأنا مسبب العمران

أجاب النهار بتؤده :

أنا معطى الحياة . . وأنت مجلب الخراب

فقال الليل :

— أنا الليل المعمر . : وأنت النهار المخرب .

فصرخ النهار قائلا .

— انك تحاول أن تقنعني أن الموت هو الحياة

* * *

وهكذا سارا في طريقهما ، مثل متجادلين كل منهما متشبث برأية ؛ غير مصغ الى مايقول الاخر . .



الحرب (١)

في كوخ صغير مغطي بالحشائش والزهور ؛ جلس العجوز على مقعد ، يتلاعب النسيم العليل بشعوره الفضية

جاءت كنته وكانت دموعها تتساقط على وجنتيهـــا ، فأجلسها بجانبه ومسح دموعها بحنان وعطف

ثم قال بصوت خافت .

— لاتبك يابنية ان الوطن أحوج اليه منـــا · أحوج اليه من أبيه وزوجه · . والنهاية لايعلمها أحد · فلم اليأس ولم البكاء ؟ .

فتنهدت وأحنت رأسهـــا ، ثم جثت على ركبتيها وأخذت تصلى .

☆☆☆

خر الزوج ميتاً في ساحة القتال ، فبكى الوالد كثيراً ثم أسلم روحه فى ليلة مظلمة .

(١) نشرت فى مجلة التاج الذهبي عدد ٤ الصادر فى ١٦ أكتوبر سنة ١٩٢٤

فأقفر الكوخ وساد في ارجائه سكون عميق لايعكره سوي تنهدات بائسة منزوية في أحد أركانه الموحشة

وجاء فصل الربيع ، فتفتحت أكمام الزهر، وامتلأت المروج بالبنفسج والسوسن . . ولكن يد الربيع المـــاهرة لم تستطع أن ترسم ابتسامة واحدة على فم الزوجة الحزين



الصديق الخائن[1]

آه ياصديقى . . هل تبتسم أم تبكى حينما يضمنى ملك الموت الى أحضانه ؟ . .

هل تسكب دموعك على جثتى الباردة أم تشيعها بابتساماتك ؟ . .

قل لى ولا تخف . . اخبرنى لاعلم . . لاتطل السكوت فانى في عذاب

***

يخيل الى انى اسمع همسا خافتا . . هناك افعي ! . . فأين هى مختبئة . . ؟

آه ياصديقي . . أنها بين شفتيك . . لقد بدت لى الآن حينما حاولت أن تخفي ابتسامتك . .

ان دموعك التى تذرفها أمامى مختلطه بسم زعاف أيها العزيز ! ؟

---

(١) نشرت في جريدة مصر يوم ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٢٤

***

أيها الموت . . لا تطل الغياب عنى . . تعال الى ولا تتأخر . . فأنت الفاصل بيني وبين آلامي .

هاقد أغمضت عيني لكي لاافتحها ثانيه

الوداع أيها العالم . . الوداع ياصديقي الحبيب ! .

***

انى أسمع طائرا يغرد ! . . أنصت ! . . . ألا تسمع مايقول آه . . انه يقول أننا جميعا سنرحل من هذا العالم المظلم ! . بقلوب مملوءة بالهموم والاحزان . . . وعيون مغرورقة بالدموع .



الاخوان[1]

ولج برنار ذات ليلة باب غرفته ، فرأى ماملاهدهشه وعجبا رأى طفله لا يتجاوز سنها العامين ، نائمه على مقعد بجوار احدى النوافذ

أخذ ينظر وأخيرا قال :

ـــ لا تخافي ايتها الصغيرة الحسناء . . ستعيشين معي .

قان برنار رجل كريم لا يطرد ضيفا جاء اليه . . . ولكن لم اودعك ذووك لدى ؟ . . لا شك أن هناك أمرا عظيما أرغمهم على ذلك . .

وفي تلك اللحظة دخل طفلان الى الغرفة . وحالما رأيا برنار وتلك الطفلة الغريبة هرعا اليه صائحين :

ـــ من هذه ياجداه ؟ . .

قال :

ـــ أنها ضيفة حلت بنا . لقد تركها اهلها تحت كنفنا

---

(١) نشرت في جريدة كوكب الشرق بتاريخ ٨ مايو سنة ١٩٢٥

وفي ظل حمايتنا. فكونا لها نعم الرفيقـان . ومنذ الآن سندعوها « مارى » ..

وكان اسم الطفلين بيبر وجان

وكان الجد يحب جان ويمقت بيبر ولا يعلم أحد السبب فكثيرا ما يعاقبه عقابا صارما ويترك أخاه مع ان الذنب اقترفاه سويا . وكان بيبر يبكي لذلك أحر بكاء

٭٭٭

ومر عامان

في ذات رأى جان ماري تمزح مع بيبر . فاشتعلت في فؤاده نيران الغيرة ؛ وهجم على اخيه ؛ واشتبك الاثنان فى قتال عنيف

جاء الجد صائحا ، ثم امسك بيبر من ذراعة وطرحه خارجا وهو يقول :

— ستبيت هـذه الليلة خارج المنزل جزاء عملك الدنىء هذا !.:

وحينما أظلم الجو وجاء الليل اضطجع بيبر بجانب كومة

من الاعشاب اليابسة . ولم يلبث أن سمع صوتالطيفا هو صوت ماري وهي تقول له :

أمتألم انت يابيير ؟ . .

كلا ياماري .

—لقد كنت السبب في كل ما حدث . .

— وكم أنا سعيد من أجل ذلك ! . .

☆☆☆

مرت الايام تلو الايام ، فهرم الجد ؛ وصار الطفلان رجلين

كان بيير نقاشا يصنع التماثيل ، وكان جان فلاحـــا يزرع الارض

وصارت ماري فتاةرائعة الجمال ، يخجل حسنها البدر وهو في ليلة عامه .

أحباها معا ، فغرس بذلك الحبفيقلبكلمنهما بذور حقد نحو الآخر ؛ كانت تنمو على مر الايام

سار بيير ذات يوم صحو جميل مع ماري وقد ساد

بينهما سكون عميق .واخيرا وصلا الى بحيره صافية الماء في وسط غابة ؛ فجلسا على شاطئها

قال بيير بعد أن ركع على ركبتيه ·

ــ احبك ياماري . ·أحبك حبا لا يفارقني حتى الموت

ــ وأنا احبك يابيير . .

ــ وأخي . .

ــ اني لا أحبه فلا أكترث له · .

فتهلل وجه بيير

وكان في احدى مزارع برنار خادم ماكر شرير اسمه سيمون · يكره بيير كرها عظيما. .رأى اجتماع الحبيبين فذهب الى جان وأخبره بذلك لعلمه انه يحبها

وجاء جان · فرآهما جالسين ؛ وسمع معظم ما دار بينهما من حديث فرجع الى المنزل وهو كئيب ، ثم انزوى في أحد الاركان

رآه برنار فدنا منه قائلا :

مابك يابني ؟ . .

فلم يجب

ـ لم هذا الحزن ياحان ؟ . .

فقال

انها تحبه ولا تحبني . . لقد سمعتها تصرح له بذلك منذ وقت قصير . آه ياجداه انى احبها بكل قوى نفسى . . أموت اذا لم افز بقربها . ما اسعد حظ بيير ياجدي

وأشار بيده الى ناحية الغابة وقال :

ـ انهما هناك ـ بيير ومارى ـ على شاطيء البحيرة

فقال الجد :

لا تحزن . ستكون زوجتك . انى أكرهه ولا يمكن أن اسمح له بالزواج بها .

وفى ذلك الوقت جاء بيير ودخـل الغرفة فلاقاه الجد بغضب وقال

ـ لقد علمت كل شيء ... يالك من نذل .. اخرج من منزلى سريعا

قال بيير :

ـ ماذا تقول ؟ ...أأخرج أنا ؟ .

أجاب :

ـ نعم ..أخرج في الحال ..

وكانت ماري في الحديقة تطعم طيورها

هطلت الدموع حارة من عيني بيير ، وخرج تاركا على وجه جان ابتسامة متلألئة . .

وبكت ماري كثيرا عند ماعلمت يطرد حبيبها ، ولكن ماذا تعمل وهى تلك الابنــة البائسة التى آووها بدافع الشفقة انها لاتقوى على عمل شيء.

* * *

جلس بيير على شاطيء البحيرة . وفي ذلك الوقت رجعت اليه تذكارات الماضى ، فأخذيبكي ..

انتصف الليل ، فولى وجهه شطر منزل جده وهو يقول محال أن أذهب قبل ان أتزود منها بنظ ره . :

رآه سيمون يتسلسل بين أشجار الحديقة ؛ فذهب للحال الى جان وأخبره بذلك

قفز بيير على الجدار ودخل مخدع جبيته وكانت نائمــة كالملائكة ؛ وشعرها الذهبي الطويل منسدل على وسادتها ينير غرفتها سراج ضعيف

أخذ ينظر اليها . الى انحول وجهه نحو مصدر حركة طرقت سمعه فرأى جان قددخل الى الغرفة وبيده خنجر طويل ، فجرد هو أيضا خنجره ووقف على أهبه الدفاع

اقتربا من بعضها حتى صار بينهـما سرير مارى . وخنجراهما يلمعان على ضوء السراج وايات الحقد تبدو على وجهيهمابو ضوح وجلاء

لم يفوها ببنت شفة .وأخذا يدوران حول السرير وكل منهما يتحين فرصة ليقتال الآخر

تحركت مارى

فنظرا اليها كلاهما . .

همست فى نومها قائلة :ــ يابير .

تم سمتت وهى تتنفس تنفسا مضطربا

وأخيرا قال جان :

ـ اخرج الآن من هنا لئلا أقتلك أمامها .

فقال بيير :

ـ لست أخرج اطاعه لا مرك ولكن لكى لا أدنس بدمك فراش من أحب . . .

ووثب من النافذة ثم اختفى

* * *

أذعنت مارى لامر برنار وقبلت بزواج جان لانها خافت أن يطرداها كخادمه . . .

وهى لم تعد تسمع خبرا عن بيير

وبعد حفلة الزفاف أخذت تبكى ودخل زوجها الى الغرفة وهو يتمايل ذات اليمين وذات اليسار . فقد كان ثملا نتيجه ما تجرع من خمر . .

انطفأت شعلة حبه الشهواني بعد مدة . وأخذ يسىء معاملتها ، ضاربا وشاتما اياها لاقل سبب

هذا وقد مات برنار ، ولم تعد ترى معها في المنزل سوى سيمون

في ذات يوم حانت منها التفاته الى صورة تمثال في احدي الجرائد المصورة ؛ ولم تكد تتفرس فيها حتى صرخت صرخه عالية وقفزت كمجنونة..

كان التمثال صورة ناطقة منها وكان الامضاء بيير »

* * *

أخذ بيير يصنع التماثيل حتى نبغ واشتهر ، وآخر ثمره أظهرها للعالم تمثال امرأة . نحته على مثال ماري التي لم ينسها ، وأظهر فيه كل ماله من نبوغ وعبقرية ، وبذا كان فتنة للناظرين

* * *

كتبت ماري خطابا لبيير تشرح له حالتها وتسأله الاتيان لانقاذها . لم يعجبها ذلك الخطاب فألقته وكتبت خطابا آخر ، ثم خرجت من المنزل وذهبت لتلقيه في صندوق البريد ، وبعد مدة وصل الى يد بيير فقام للحال ووضع في جيبه مسدسا وركب القطار قاصداً منزل أخيه

رجع جاك في ذلك اليوم الى المنزل فلم يجد زوجته .

جلس على المائدة غاضباً وتلفت يمنة ويسرة ، فرأى ورقة ملقاة بجانب الموقد فقام وأخذها ، لم يكد يقرأ مافيها حتى قفز صائحا . تبا لها من خائنة . .

وكان بالورقة . .

« انقذني يابيير . . أنقذني . . »

جاءت ماري من الخارج . فوقف أمامها مرغيا مزبدا وأراها الورقة ثم قال :

— ما هذا ! .

فلم تحر جوابا

أمسكها وطرحها أرضا ، وأخذ يضربها ضربا مبرحا وهي تصرخ وتستغيث. وأخيرا حملها بين ذراعيه الى الخارج ثم اركبها مركبة ونادى سيمون .

أوصاه بأن يقتل بيير اذا جاء . . وأخبره أن هنـاك في غرفة المطبخ بندقية محشوة يمكنه بواسطتها تنفيـذ ما أمر به . .

وهنا أظهر سيمون فرحا عظيما لانه سيتمكن من

قتل عدوه الذى يمقته مقتا شديداً

***

وصل بيبر الى المنزل ، فدخله بهدوء بحيث لم يشعر به سيمون . ثم قفز من نافذة الى أحدى غرفه لانه أراد أن يقابل مارى منفردة وبدون أن يراه أحد .

ذعر سيمون حينما رأى عدوه مصوبا نحو رأسه مسدسا وهو يقول بصوت هائل :

— أين هى

فلم يجب . .

— قل لى أين هى والا حطمت رأسك بالرصاص

أيقن سيمون انه ينفذ وعيده فقال :

— لقد ذهبت معه الى منزلكم القديم القائم هنـاك بجوار النهر . ذهبت مع روجها . انه علم بما بينكما .

قال . انى أعرف ذلك المنزل

وأسرع بالخروج ثم امتطي صـهوة جواده وانطلق ولكن في تلك اللحظة دوى طلق نارى

أصابته رصاصة قاسية أطلقها سيمون . فانحنى قليلا الى الامام ولكنه لم يقع

تابع سيره وقد نزف معظم دمه . وأخيرا أصابه الضعف فسقط عن ظهر جواده الى الارض

وكان المنزل قريباً منه ،

سمع صراخ مارى .

أخذ يزحف على الارض وهو يئن . الى أن وصل الى السلم ؛ فجاهد جهاد الابطال حتى وصل الى الدرجة الاخيرة منهـــا .

ونظر الى الغرفة . .

فرأى أمرا هاله . :

رأى جان يضرب مارى وهى تناضل وتدافع :

التفت جان الى باب الغرفة . فرأى أخيه ووجهه مخضب بالدماء والوحول ؛

وقف يترنح على أرض الحجرة

ولكنه عاد فارتمى ثانية .

تمكن من الوقوف ثانيا . فتقدم الى أخيه ووجهه يمثل الهول والغضب . . فتراجع جان حتي التصق بالحـائط . . وأمسك بيير بعنقه . . فدفعه جان حتى سقط على الارض مغمى عليه .

ارتمت ماري على جسم بيير باكية

وكانت تقول :

— يابيير . . يا بيير . .

أخذ جان ينظر الى أخيـه الملقي على الارض ، والى مارى الجاثية بجانبه ؛ فأصابه ذهول ؛ تلاشى في اثنائه ذلك الحقد العظيم الـكامن فى فؤاده ؛ فتقدم مثلها وجثا بجانبه

ولم يتمالك من اذراف الدموع

نسي كل شيء . ولم يذكر الا أن بيير يموت

أفاق الجريح قليلا . ونظر ببطء الى الاثنين الجاثيين بجانبه وأخيرا وضع أحد ذراعيه على عنق أخيه . ووضع الاخر على عنق مارى

ولم يتكلم .

قال جان : اتصفح عني يابيير ؟ .

فأجاب بصوت لايكاد يسمع . صوت رجل على وشك أن يفارق الحياة

— نعم . . أصفح عنك عن طيبة خاطر . لقد سببت لى التعس والشقاء في هذه الحياة . أبعدتنى عن تلك التى أحببتها بكل قوي نفسى ، ولكننى اصفح عنك .

لاتبك ياماري . . . لاتبك . . . كلاكما يصلح للآخر عوني سيتلاشى ذلك الحب القديم . . . وعند ذلك تشرق شمس السعادة فى سماء حياتكما . .

انه أفضل مني ياماري . . . فان صاحب الفن يخطىء أحيانا . . . أما الزارع فلا يخطيء أبداً ، . . وما أجمله حينما ينثر البذور على الأرض التى دغدغها المحراث . .

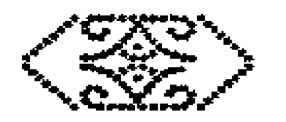
لايفترق كل منكما عن الآخر . . . ولايثر في وجهه ذكريات الماضى . . . تلك وصيتي . . . والوداع . . .

ثم شهق شهقة عالية

وأسلم الروح

✡ ✡ ✡

وعند الغروب ، كان جان ومارى جاثيين بجانب قبر كللته الزهور ، وهما يبكيان بكاءاً مرا



انتحار كليوبطره [1]

وصنعت كلبوبطره مأدبة عظيمة . فان تلك الملكة أرادت أن تمتع نفسها بملاذ الحياة لآخر مرة

وبعد انتهاء المأدبة أحضر لها رجل سله مملوءة من التين ، فكافأته وشكرته مرارا . ثم أخرجت من جيب ردائها خطابا كانت قد كتبته ، وأعطته الى اثنين من الحراس ليسلماه الى قيصر

ذهبت كليوبطره الى مخدعها وجلست وحيدة . . . أخذت تفكر وتتأمل ، الى أن اغرورقت عيناها بالدموع فقد تذكرت أيامها الماضية

ولكنها لم تلبث أن مسحت دموعها ، ونظرت الى أوراق التين نظرة طويلة

وكانت عينا الحية تلمع من وسطها لمعانا ضئيلا

---

(١) نشرت في جريدة السياسة بتاريخ ٢٠ أغسطس سنة ١٩٢١

أمسكت كليوبطره الحية بيدها ؛ وقالت بصوت خافت متقطع :

— أيتها المخلوقة الجميلة . . . المكروهة من جميع البشر . . . انى أحبك من كل قلبى . . . انى لا أخاف عضتك أجل . . . لا أخافها . . . انها ستنقلنى الى عالم السلام والراحة وهنالك ألاقى انطونيوس ثانيا . . .

ثم نزعت دبوسا ذهبيا من شعرها ؛ ووخزت الحية وخزه مؤلمه ، فثار بركان غضبها ، وعضت كليوبطره في ذراعها .

أفلتت كليوبطره الحية وهمست :

— انى آتية . . . يا أنطونيو العزيز . . . . . انى آتية . . .

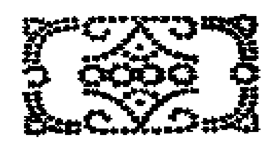
ثم قامت ، وارتمت على فراشها . .

✲ ✲ ✲

وساد سكون عميق

الى أن فتح باب المخدع ، ودخل قيصر

ولكن كليوبطره كانت قد فارقت الحياة
فنظر اليها نظرة حزن طويلة
ثم أخرج خطابها وأعاد تلاوته وقال :
سأفعل ماأوصت به . . . انها تريد أن تدفن بجانب
حبيبها . . حبيبها انطونيوس . . . سيكون كذلك .
* سيكون كذلك يا كليوبطره . . .



البحار الصغير [1]

استيقظ عند انبثاق الفجر وجذوة الامل تتقد فى فؤاده ؛ ثم ذهب الى المرفأ ، وهناك وثب على ظهر سفينة كانت على وشك الرحيل

ابتدأ يغنى غناء شجيا حينما بعدت السفينة عن الشاطيء وأخذت تشق أمواج المحيط المتلاطمة ، فجاءه رجل هائل القوة وصرخ في وجهه قائلا :

أيها الصبي لماذا أتيت الى هنا ؟ . . اننا سننضم الى الاسطول ونخوض معه غمار المعركة . . فلماذ أتيت !. : لا شك أنك جاهل مغرور أو انك كاره للحياة رغم صغر سنك . .

فقال الصبي بتؤده :

— أن المكوث فى المنزل لا يجدى الانسان نفعا ولا

---

(١) نشرت في جريدة الوطن يوم ١٩ نوفمبر سنة وفي مجلة خيال الظل العدد ٢٤

يطول عمره دقيقة واحدة . . لقد تعلقت أمي الحنون بعنق وصاح اخواتى قائلين « أمكث معنا . . أمكث معنا . . » ولــكنى لم أعرهم أذنا صاغية ؛ وجئت الى هنا لادافع عن وطنى ...

ليساعدنى الله . . لــكى أتحمــل نصيبي من زوابع وأخطار . . ولكي أقوم بواجبي حق القيام . .



الابن الخائن (١)

كان لها ابن تحبه حبا كالعبادة ، اذا ابتسم ترى الحياة مشرقة لامعة ، واذا حجبت سماء حياته سحابة حزن تحمر عيناها من البكاء

أنفقت عليه ثمرة كدها وتعبها ، حتى كبر وصار في امكانه تحمل مشقات الحياة . فزودته بما لديها من مال قليل ، وقبلته قبلة الوداع

وسافر الابن تشيعه دموع والدته ودعواتها

ومرت عشرون عاما ، عانت الام في خلالها من آلام الفقر ما يكل عنه الوصف ، وقد رسمت كل سنة من هذه السنين على جبينها خطاً لا يمحى ولا يزول . .

***

طرق سمعها أخيراً أن ابنها قد صار غنيا ؛ فذهبت

---

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٤

اليه ، تتلاعب بفؤادها عوامل السرور ؛ وتجول بين عينيها دموع الفرح والاعجاب

رآها داخلة بوجهها المجعد وأسمالها البالية ، فنظر اليها نظرة خالية من كل عطف .. وأخذ يفكر .. كأنه عزم على طردها .. فهي تذكرة لمن يراها بفقره الماضي .. وهي شبح مخيف لا يقوى على النظر اليه والتفرس فيه ! ..

ولكنه أمر الخدم — بعد تردد كثير — بأن يهيئوا لها مرقدا في غرفة المطبخ ...

وكان عشاؤها تافهاً حقيرا

***

بكت الأم كثيراً حتى ابتل وجهها بالدموع ، وكان صوت شهيقها يتردد في جوانب الغرفة

مسكينة هي ! .. بذلت أيام شبابها عن طيبة خاطر في سبيل راحة ابنها ، مؤملة بأن تراه عوناً لها في أيام الشيخوخة والكبر ، واذا حصون آمالها قد اندكت ولم يبق منها أثر

ودقت الساعة معلنة بانتصاف الليل .. فقامت وذهبت

الى غرفة ولدها .. ثم قبلته ودموعها تسيل كالمطر على وجنتيها الذابلتين

ورأت أنه ليس عليه غطاء ؛ فخلعت رداءها وألقته عليه ، ثم خرجت من المنزل خفية متوكئة على عكازها ، واختفت تحت جنح الليل ...

***

جلست الام على قارعة الطريق ؛ وكان الظلام حالكا ؛ والسكون عميقا ينذر بانقضاض زوبعة هائلة ..

ولم تلبث الزوبعة أن انقضت ، فدوى الرعد ، وهطلت الامطار ؛ وأخذ سيف البرق يشق صفحة السماء

لم تقو الام على تحمل غضب الطبيعة الهائل ؛ فأغمي عليها ؛ وتراكمت حولها الاوحال والاقذار ؛ فصيرتها مثل خرقة بالية قذرة

وفي ذلك الوقت بدت في أول الشارع مركبة كانت بسرعتها تسابق الرياح ...

***

جلس الابن في اليوم التالى ليقرأ جرائده ؛ فقرأ ان امرأة عجوزا داستها عربة ، ونقلت الى المستشفى و..... الخ

أيقن الابن الخائن أنها أمه . . . فبكى وثارت زوابع الندم في فؤاده . .

ذهب اليها . . . فرآها نائمة . . . ورأته واقفاً . . . فابتسمت له ابتسامة عذبة . . . وأشارت اليه بالاقتراب

فاقترب منها . محنياً رأسه ؛ باكياً ؛ فزودته بدعواتها الاخيرة . . . وقبلته قبلة طويلة حارة ؛ ثم أسلمت روحها بين ذراعيه .



خواطر (١)

من المحال أن نصل الى السماء بدون واسطـة ، ولذا فيجب علينا أن نصنع بأيدينا سلما به نتمكن من الصعود الى العلاء ..

وكل عمل صالح نقوم به عبارة عن درجة في ذلك السلم ؛ نقف عليها ، وبذا نقترب قليلا من أحضـان الاله العظيم .

***

تشرق الشمس ، فننطلق عازمين على ترك الرذائل ولكن لايلبث الكلال أن يصيب عزائمنا ، ولا يأتي المساء حتى نـكون ملوثين بالاقذار

نصلي ونتضرع في الصباح ، مصممين على نبذ المعاصي ولكن العالم يناذينا ، وحينما يأتي المساء نرى انفسنا غارقين في الاوحال

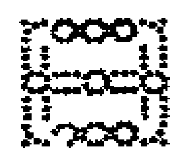
---

(١) نشرت في مجلة الشرق والغرب عدد شهر فبراير سنة ٩٢٥

***

الاجنحة للملائكة . والاقدام للبشر . ولكن في استطاعتنا أن نستعير من الملائكة أجنحتها . ونطير بها الى السماء . حينما نطهر نفوسنا من أدران العالم . ونجعل قلوبنا نقية بيضاء كالثلج

الا أنه بصدمة واحدة من صدمات الخطية . تتكسر تلك الاجنحة ؛ ويقع ذلك السلم . فنهوى الى الحضيض حيث تقاسى العذاب والالم



الموت (١)

لقد تحول آباؤنا وملوكنا الاولون الى اشباح لاتراها العين . لم ينج أحد منهم من المـوت . ذلك الشبح المخيف الذي لانجاه منه . انه يضع يده الباردة على العظيم والحقير

ينام الملك في قبره النومة الاخيرة ، ولايلبث أن يصير كاحقر رعاياه وأقل عبيده شأنا

✫ ✫ ✫

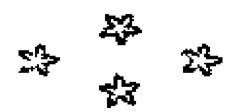
يروى الكثيرون الارض بالدماء ، وعلى أديم تلك الارض تنبت زهور مجدهم وعظمتهم،ولكنهم بعد وصولهم الى الاوج ؟ يتدحرجون الى هاوية الموت،وهم صفر الوجوه لهم أنين مرتفع وصيحات مزعجة

✫ ✫ ✫

انك تتغنى كثيراً بذكر قوتك وبطشك ، كان تلك القوة ستدوم . أغلق فاك وانظر الى مذبح الموت الرهيب

(١) نشرت في مجلة الشرق والغرب عدد شهر فبراير سنة ٩٢٥

أن العظماء فوقه مرتمون بحاله تقشعر منها الابدان انك ستموت .. ولا تبقي بعدك سوى اعمالك الصالحة .. تنبت فوق قبرك زهورا عطرية يراها الغادى ويستنشق أريجها الرائح ..



النوري

في سنة ١٨٦٦ كانت رحى الحرب دائرة بين النمسا وبروسيا.

ففي ليلة صافية هادئة ؛ حينما كان الجيش النمساوى غارقا فى لجة النوم . وسط سكون عميق لايعكره سوى صوت وقع خطوات الحراس على الارض المغطاة بالحصى والصخور . . رأى الحارس الواقف أمام خيمة القائد جنديا آتيا نحوه . فرفع بندقيته وصاح قائلا .

— من هنالك ؟ .

فأجاب الجندى :

— جو . . النورى .

فسأله الحارس :

— ماذا تريد ؟

أجاب .

— أريد ان أرى القائد . فنحن في خطر عظيم.

وكان الحارس يعلم أن جو لا يأتى لامر تافه ولذا فانه قال له

— انى ذاهب اليه . .

وولى وجهه شطر الخيمة

* * *

أدخل جو الى خيمة القائد فسأله قائلا :

— ما الخبر ؟ .

فأجاب :

— أن الاعداء في وسط الغـابة . . وهم في طريقهم الينا . ليفتكوا بالجيش أثناء اغراقه في النوم

فقال القائد :

— ولكن الحرس الخارجى لم يسمع ولم ير شيئا .

قال الجندي :

— وأنا أيضاً لم اسمع ولم أر شيئاً

فقال القائد :

— اذن كيف علمت أن البروسيين في الغابة

قال — : انظر من النافذة ايها الجنرال . . . يبدو لك صدق قولى .

☆☆☆

أطل القائد من النافذة . وجاء النورى ، ثم أشار بيده الى الغابة المتلالئة تحت أشعة القمر الفضية وقال :

— هل ترى هذه الطيور الهائمة بين الاشجار !

فأجاب

— نعم . . انى أراها .

— قال .

— أن هذه الطيور تنام بلا شك أثناء الليل .. فلم هى طائرة الان ؟ . الجواب على ذلك بسيط وهوأن الجيش الروسى فى الغابة . . وهو الذى أخافها . . فخرجت من أوكارها هائمة .

فابتسم القائد وقال .

— حسنا .. يمكنك الذهاب الان .. واني اشكرك بالنيابة عن الوطن

* * *

وأيقظ الجنود بسرعة وهدوء

واقترب الجيش الروسي ، فرأي النمساويين واقفين على قدم وساق : متأهبين للنضال والعراك

* * *

وهكذا نجا النمســـاويون من موت محقق ، وكان الفضل فى ذلك راجعا الى ذلك النورى الذى استعمل عقله وعينيه اكثر من غيره



العشرة الطيبة (١)

سرت في روضة ، فدست بقـدمى على غصن جاف ملقى على أديم الارض

سمعت صوت بكائه ، فانحنيت والتقطته ، ثم أدنيتـه من أنفي ؛ فوجدت أن له رائحة عطرية

فقلت له :

— ان لك رائحة طيبة لم أعهدها فيك من قبل فمن أين أتتك ؟ .

فأجاب

— لقد مكثت طويلا بين الازهار . فاكتسـبت رائحتها الطيبة .

---

(١) نشرت بجريدة السياسة بتاريخ ٤ سبتمبر سنة ٩٢٤

كلمة مأثورة(١)

يرى الجندى فى ساحة القتـــال سيول الدماء تجرى تحت قدميه ؛ ويسمع أنين الجرحى و- شرجة القتلى ، فلا يتأثر ولا يضطرب ، بل يهجم هجوم الاسود ويرجع وراية الانتصار ترفرف فوق رأسه

أن ذلك المنتصر لايستحق أن يقبل قدمي المنتصر في المعارك التى تدور بين الفضيلة والرذيلة ، وبين النفس والجسد .

---

٢ نشرت في جريدة السياسة بتاريخ ٤ سبتمبر سنة ٩٢٤

محرر امريكا(١)

كانت الطبيعة هادئه ؛ وكان النسيم يهب عليلا في أحد أيام سنة ١٧٥٠ ميلاديه

في غابة عظيمة تقع في شمال « فرجينيا » بقرب مجري تملؤه الصخور الحادة ، كان بضعه من الرجال مضطجعين في ظل احدى الاشجار . يدل ظاهرهم على أنهم من الحصادين

نهض أحد أولئك الرجال وكان شابا طويل القامة قوي العضل لايتجاوز العشرين من عمره . وعلى وجهه آيات الشجاعة والشهامه مرتسمه بوضوح وجلاء

أخذ يمشي متمهلا بين أشجار الغابة . الى ان طرقت أذنه صرخه عاليه . تبعتها أخرى ... ثم توالت الصرخات بسرعة تدل على أن صاحبها في ألم شديد

. انطلق الشاب مسرعا نحو مصدر الصوت . فوصل أخيرا الى شاطيء المجرى . حيث هناك كوخ صغير . رأى

(١) نشرت في مجلة الشرق والعرب عدد شهر يونيو سنة ٩٢٥

رفاقه مزدحمين على الشاطىء.وفي وسطهم امرأة هي التى سمع صوت صياحها . وكان اثنان منهم ممسكين بها . وهي تتملص بعنف محاوله الافلات

ولم يكد يقع نظر المرأة على الشاب حتي مدت ذراعيها نحوه وصاحت بصوت متقطع قائله :

— ياسيدى..ساعدنى..أطلق سراحى..دعهم يفلتوتنى .. آه.. ولدى .. لقد سقط في النهر .. دعونى أيها القساه.. دعونى أذهب اليه ..

فقال أحد أولئك الرجال :

— من الجنون أن نفلتها .. انها تقفز الى النهر فتمزقها الامواج والصخور في لحظه ...

* * *

تذكر الشاب ذلك الطفل الجرىء الذى لايتجاوز سنه الرابعة ، ذلك الطفل ذو العينين الزرقاويتين والمنظر الجميل الذى حببه الى كل انسان في تلك الناحية

لقد اعتاد أن يلعب فى حديقة صغيره تحيط بالكوخ

القائم على شاطىء المجرى . ولكنه في هذا اليوم رأى الباب مفتوحا فانسل خارجا حتى وصل الى حافة الشاطىء الصخري المرتفعة ارتفاعا عظيما عن المياه ، وفى تلك اللحظة رأته أمه فصرخت ... وكانت صرختها سببا فى ازعاجه وفقده توازنه ؛ فهوى في المجرى ذى الامواج المتلاطمة ؛ والصخور التي تشبه أسنه الحراب ..

وفي تلك اللحظة وصل الحصادون الى حافة النهر ؛ وكانوا على وشك أن يلقوا بأنفسهم فيه لانقاذ الطفل ؛ الا أن منظر الصخور الحادة ؛ والمياه الثائرة ، أوقفهم وصدهم عما كانوا عازمين عليه

☆☆☆

خلع الشاب رداءه . ووقف لحظة يلقي بنظره الى ما تحتة ؛ فرأى عن بعد جسما ابيضا عرف انه رداء الطفل . وبعد ذلك ألقى بنفسه بين أحضان المياه المزبده ، فسمع لسقوطه صوت تلاشى أمام زئير الامواج

وعند ذلك صاحت الأم قائله :

ـ شكرا لله .. أنه سينقذ ولدى.. آه ياولدى الحبيب..
كان يجب أن لاأتركك وحيدا ..

وكانت كل عين على الشاطيء ترمق الشاب الشجاع
الذي حمله التيار مثل ريشة خفيفة ؛ وخيل للواقفين أنهم
يرونه مندفعا نحو الصخور ... ولكنهم أخيرا رأوا رأسه
يتحرك فوق سطح الماء ولم يلبث أن أخفاه الزبد عن الانظار

أخذ يناضل ويدافع وسط المياة الغاضبة ؛ وعينا الام
المرتعشتين المغروقتين بالدموع ترمقانه . كم كان فؤادها
يتألم حينما تراه يختفي عن نظرها ، وكم كان فرحها عظيما
حينما تراه يطفوا ثانيا

وأخيرا ابتدأ اليأس يتطرق الى قلوب الواقفين ،
فقد كان الشاب مندفعا وراء الطفل الى اخطر جزء في النهر
لم يتجرأ أحد من قبل على أن يتجاوز هذا الموضع الابقار به
متين .فقد كان تكسر الامواج فيه على الصخور المدببة مخيفا
جدا . علأ القلوب رعبا وفزعا

لاشك أن الموت المحقق بسكون نصيب ذلك الشاب

النبيل اذا لم يقبض على الطفل قبل وصوله الى تلك البقعة المخيفة . وياله من موت مروع .. ان أجزاء جسمه تتمزق اربا وتتناثر في الفضاء

هجم على الطفل ثلاث مرات.ولكن الفشل كان نصيبه فقد ناصبته المياه العداء . ودفعته بعنف وقوه ... وبذلك لم تنله غرضه

أنت الام أنه خافته ، وسقطت على ركبتيها ثم رفعت صوتها الى الله راجيه متوسلة ...

وكأن توســلات الأم قد استجيبت ، فان الواقفين رأوا الشاب يمسك بملابس الطفل ، ثم غاب الاثنان معا ، تاركين القلوب واجفه عليهما ؛ والعيون تنظر الى البقعه التى اختفيا فيها بلا كلل ولا ملل

وأخيرا ظهر الشاب وبين ذراعيه الطفل الغريق ؛ وهو يسبح متجها نحو الشاطىء ...

وعند ذلك صاح الجميع صيحه فزع . وراحت الأم تجرى كالمجنونة وهى تصيح قائله :ـــ انهم هناك ... أنظروا

... لقد نجيا .. آه .. أيها الخالق العظيم .. أشكرك..

وكان الشاب قد وصل الى بقعة منخفضة من الشاطيء ثم ارتمى عليها خائر القوي.وكان الطفل بين ذراعيه وهو مغمي عليه فقط . ولم يمس بأقل سوء ..

وجاءت الام ..

وليس في مقدور واصف أن يصف المنظر الذى أعقب ذلك ... أجل .. ليس في مقدور واصف أن يصف شكر الام الى من أنقذ وحيدها من مخالب المنون

وأخيرا قالت المرأه بصوت هادىء .

ـ يالك من رجل نبيل شجاع ... لاشك انك ستكون عظيما في مستقبل الايام .. أجل .. ستكون عظيما ..وسوف أسمع عنك كثيرا اذا أطال الله أيام حياتى ...

وقد صدقت نبؤة المرأة ، فان جورج واشنطون ؛ بطل هذه الساعة أنقذ فيما بعد أمته امريكا من مخالب الاستعباد؛ ؛ فوصل بذلك الى قمة المجد والعظمه ؛ وكان فى حياته يعتبر امثالا حيا للتضحية بالنفس في سبيل الغير .

وداع نابليون (١)

وداعا الى الارض التي في سمائها أشرق كوكب مجدى فأنار العالم بضوئه الساحر الخلاب

أنها تهجرنى الان . ولكن صفحات كتابها . السوداء منها والبيضاء . مملوءة بآيات شهرتى

لقد حاربت العالم . ذلك العالم الذى وقف أمامى مرتعد الفرائص خوفا .

لقد ناظرت تلك الممالك العظيمة . التى خافتنى بالرغم عنها ! .

أنها أسرتنى أخيراً . ولكنها دفعت ثمنا لذلك آلاف القتلى ومئات الجرحى

☆☆☆

وداعا يافرنسا المحبوبة .

لقد صيرتك اسمن جوهرة في تاج العالم .

---

(١) نشرت في عدد السياسة الصادر يوم ٥ اعسطس ١٩٢٤

لقد جعلتك موضع دهشة أهل الارض قاطبة .
ولكن ضعفك أجبرنى على تركك حينما وجـدتك .
فتركتك والدماء تسيل من جراحك • وأشعة الالم تتوهج في عينيك

* * *

واأسفاه على تلك القلوب المملوءة بالامانة والوفاء .
التى ذهبت سدى عند مصادمة العواصف •
بينما كان ذلك « النسر » ينظر نظراته الثـابتة نحو شمس الانتصار
تلك النظرات التى فقدت الان لهيب العزم والقوة ؛

* * *

وداعا يافرنسا .
وحينما ترفرف أعلام الحرية على ربوعك ثانيـا ،
تذكرينى . .
أن البنفسجة التي نمت وترعرعت في أوديتك الجميلة قد أخذت فى الذبول

ولكن دموعك ترد اليها الحياة ! .
أجل . فقد انتصر ثانياً على تلك الجموع المحيطة بنـــا
وقد يدق قلبك دقاته القديمة عند سماع صوتى
هناك حلقات يجب أن تـكسر في تلك السلسلة التي
تقيدنا ،
فالتفتى اذا . ونادى ذلك القـــائد الذي أحبك كثيراً
أجل . أحبك حبا لم يحبه أحد لوطنه



ملتقى المياه (١)

أيها العالم الواسع . ليس فيك واديا يشبه ذلك الوادى الجميل . الذى تلتقي المياه الصافية بين أحضانه

آه . أن آخر منظر يتمثل أمام عيني قبل أن يختطف روحي طائر الموت

لابد أن يكون منظر ذلك الوادى البديع

* * *

لم تهبه الطبيعة وشاحها الخالد حتى ميزته عن سواه

ولم يكن للنهير والتل يد في تكوين هذا البهاء الغريب

كلا هناك ماهو أغلى قيمة وأثمن

* * *

هناك — بقرب ذلك الوادي — يقطن أصدقائى الاوفياء الذين أحبهم كثيراً

انهم يضيفون الى جمال المكان جمالا سحرياً آخر

---

(١) نشرت فى عدد السياسة الصادر يوم ٥ أغسطس سنة ١٩٢٤

فان صورهم تلك الصور المنطبعة على صفحات فؤادى
تنعكس على وجه الماء اذا مانظرت الى سطحه
فتثير العواطف الكامنة - وتعيد الى القلب ذكري
ايام مضت

* * *

جميل أنت أيها الوادى المحبوب
ما أسعدنى حينما أنام نومتي الطويلة مع أولئك الذين
أحبهم كثيراً - في ظلال أشجارك - وبين ورودك وأزهارك
حيث السكون سائد - والطبيعة هادئة - والنسيم عليل
أن أرواحنا حينذاك تسبح فى جو هادىء يشبه هدوء
مياهك الصافية -
أيها الوادى الجميل

بلانشيت[1]

كانت على جانب عظيم من الحسن والبهاء ، وكانت لاتتجاوز الثامنة عشرة من عمرها ..

وكان اسمها بلانشيت

رجعت ذات يوم الى منزل ولدها ، شامخة بأنفها ، يستفزها الغرور وتتلاعب بها الكبرياء

لقد نالت في ذلك اليوم الشهادة النهائية من مدرسة بلدتها ؛ وهى شهاده لم تنلها سوى القليلات من أترابها

وجاء والدها الى المنزل . وناداها . طالبا الغذاء . الا انها توانت . كأنها شعرت أنها استحالت الى فتاة أخرى . وأن الخدمة المنزلية أصبحت لاتليق بها

ناداها والدها ثانية . وكان حاد الطباع سريع الغضب مؤنبا اياها لتوانيها . فذهبت اليه ثائرة ، مما زاد فى غضبه منها وتأنيبه لها . .

---

(١) نشرت في جريدة كوكب الشرق بتاريخ ٨ يوليه سنة ١٩٢٥

وازدادت مقاومتها لوالدها على توالى الايام . بعد أن كانت مستسلمة اليه خاضعه له . كأنها رأت أن شهادتها ظهر تستند عليه.ولذا فهى لاتهتم بأبيها لانها أصبحت فى غنى عنه وكثيرا ماصرحت له بذلك

وهو لم يحاول ردها الى الصواب.لم يحاول دفع ذلك الغرور عنها باللين.. بل عمد الى اهانتها كلما بدا له منها عصيان أو مقاومة

وذات ليلة احتدمت نيران الجدل بينهما. وأدى الامر الى ضربه اياها ضربا مبرحا . فهربت الى غرفتها باكية . . وأنشأت تفكر ..

يمكنها بما معها من النقود أن تذهب الى باريس حيث هناك تجد عملا بسهولة . فتعيش راضية هانئة . وتستريح من عتو والدها واستبداده

وأخذت تقول لنفسها :

أن شهادتى التى أحرزتها تكفل لى عيشا رغيدا . . فلماذا لاأذهب ؟ .. لماذا أظل فى هذا الجحيم المستعر

النيران ... سحقالى من جاهله ...

وقامت لساعتها . وتأهبت : ثم خرجت عند انتصاف الليل بدون أن يشعر بها والدها

وفى صباح اليوم التالى علم الوالد بهذه الحقيقة الهائلة فصار كأنه وحش ضارىء ...

أخذ يحطم كل ماتقع عليه يده ...

ولكنه أخيرا هدأ . وارتمى على مقعد . وأحنى رأسه ببطء . ثم رفعها ثانية فاذا وجهه مبلل بالدموع بكي لاول مره فى حياته ...

بدت له الهوه التى ستعرض ابنته نفسها للسقوط فيها مدفوعة بيد الغرور . فلم يقو على امتلاك نفسه وبكى ...

وشعر بالندم يكوى فؤاده . . . لانه أهمل ان ينصحها ويبين لها حقيقة مركزها . وعمد الى اهانتها الى ان حدث ما حدث

وكلما سأله سائل عنها كان يقول :

— انها سافرت ... انها سافرت ... لكي تزور احدى قريباتها وعما قريب تعود ..

ولسان حاله يقول :

— رباه .. لابد ان يفتضح الامر . وهنا الطامة الكبرى والمصيبة التى ليس بعدها مصيبة ...

وكانت بلانشيت قد وصلت الى باريس

راعها مارأت فيها من عظمة وأبهه، وخلب لبها ماشاهدت من قصور باذخة وحدائق غناء؛ فقالت بصوت الفرح الطروب:

— اه .. ماأحلى العيش هنا ! ..

وذهبت الى أحد المصارف الكبرى طالبه الاستخدام مقدمة شهادتها - وهى تشهد لهـا بما هي عليه من كفاءة .. تشهد بأنها تعرف من اللغات ثلاثة ومن العلوم الشيء الكثير

ولكن مدير المصرف أرجع لها شهادتها - وقال بصوت الآسف المشفق

انها لاتفيدك فى هذه المدينة ياسيدتى ..

فوقفت كالمصعوقة لاتدرى ماذا تفعل أو ماذا تقول الى ان قال لها الرجل :

— أتعرفين استخدام الآلة الكاتبة ؟ ..

ـــ كلا ..

ـــ اذن فلا عمل لك هنا ..

وظلت تبحث عن عمل أياما متواليه ولكنها لم تجد .

لم تعد عليها علومها ولغاتها بأية فائدة ـ

وهي لا تعرف التطريز أو الخياطة أو أى عمل من الاعمال اليدوية التى قد تفيدها فى ذلك الوقت ..

شعرت بغلطتها الفظيعة ، ولعنت غرورها الذى ألجأها الى مفارقه منزل والدها ... ولكن بعد أن فرغ ما لديها من نقود وأصبحت لا يمكنها الرجوع ..

طافت سحابه النهار فى الشوارع والاسواق طالبه عملا ولكن على غير جدوى

وجاء الليل . وليس معها فلس واحد . فالى أين تذهب ؟ لم تكن تعلم !

وكان البرد قارسا والرياح تهب بعنف وجنون وهي تئن أنينا مزعجا .. وتساقطت الثلوج بكثرة حتى اكتست باريس ثوبا ناصع البياض .

وظلام الليل يبدد جزءاً منه نور مصابيح الغاز القائمة في الشوارع .

أخذت تسير كالكلبة الضالة ! وحيده فقد كانت الشوارع مقفرة . حتى من رجال الشرطـة ؛ اذ لجاؤا الى الامكنة الدافئه احتماء من البرد

وصلت الى نهر السين ؟ فوقفت على شاطئه ؛ وبدا لها ينساب في هدوء كالافعي ويلمع كأنه صفحة من البلور المذاب وحدثتها النفس بأمر فظيع ؟ هو الانتحار

ولكنها كانت جبانه فتقهقرت الى الوراء حتى عثرت بمقعد تحت أحد المصابيح فجلست عليه .

وحدثتها النفس ثانية بالارتماء بين احضان مياه النهر فقد كانت اصابع اليأس قابضه عليها .. لايمكنها ان ترجع الى بلدتها وباريس لاترحمها فماذا تعمل ليس لها الا ان تموت !!

وفي تلك اللحظة شعرت بالجوع يمزق احشاءها واشتد بسبب البرد حتى صرخت أما فهان أمر الانتحار أمام عينيها .. لماذا لاتموت الان قبل ان تموت جوعا !!

تلك كانت افكارها ! فوقفت على قدميها .

ولكن في تلك اللحظة سمعت صوت غناء رجل قادم الى ناحيتها فجلست وكان احد شبان باريس الاغنياء الخليعين الذين ينامون في النهار ويسهرون في الليل ..

رآها فاقترب منها ونظر اليها فراعه حسنها وبهاؤها وظنها عاهره سكرى فاخذ بيدها وسار بها ولم تقاوم إذ أفقدها الالم والجوع واليأس كل اراده وعزيمه حتي وصل بها الى قصر فخيم متلالىء الانوار

ودخل وهـو ممسك بيدها .. فقابله رجل وقال له ضاحكا ضحكة غريبه :

— ماهذا الصيد الجميل أيها الصديق ! .. يالك من موفق سعيد الحظ ! ..

فأجابه بابتسامة ، وقاده بلا نشيت الى غرفة ليس بها أحد ، وبعد قليل جاء خادم يحمل مائده وكانت عليها أطعمه كثيره فاخره ..

أكلت بنهم لايوصف ولم تفكر فى موقفها قط

وأخيرا رأته يقف . ورأته يقترب منها ، ويمديده الى شعرها ؛ ويدنى فمه من فمها ؛ فعرفت كل شيء،ووثبت كأنها لبؤه ثائره ..

أدركت الخطر المحدق بها ، وتمثل لها والدها يبكي لما حل به من عار ؛ وتمثلت لها أمها المتوفاه تندب وتولول ؛ وبدت لها الهوه مخيفة مرعبه !!

واقترب منها ثانيه ، فدفعته بقوه غريبة ؛ وهي تبكي بكاء يفتت الاكباد ؛ فقال لها :

لماذا أتيت معي اذن ؟ ..

فأخبرته بقصتها ..

كان خليعا ؛ الا أن فؤاده كان رحيما .

فتح درجا وأخرج منه نقودا اعطاها لها ثم قال ،

—لقد ركبت متن الشطط فى تصرفك هذا ايتها الفتاة ارجعي الى والدك ولا تخاطرى ثانية يالك من مسكينه ان معرفتك بالحياة قليله جدا

وخرجت من عنده وقد انشق عمود الفجر وكانت تقول

ـــ يالهامن ليلةهائلة !!

ثم سافرت الى بلدتها وهي خائفة..خائفةمن ان يطردها والدها واذذاكماذا يكون مصيرها

طرقت الباب بيد ترتعش فسمعت صوت وقع اقدام ثم فتح الباب :: وبدا والدها مصفر الوجه متخاذل الاعضاء لما حل به من حزن وألم

رآها فتقهقر الى الوراء ..

وصاح قائلا :

اذهبي من امامى لاأريد ان أراك لاشكانك سقطت في هوة الاثم والفجور ..آه .. لقــد أثقلت كاهلى بحمل كبير من العار والفضيحة

ولكنها لم تذهب ! بل تقدمت اليهوجثت عند اقدامه ودموعهــا تهطل كالمطر على وجنتيها ! وكان منظرها يفتت القلوب الصخرية

ولكنه لم يتأثر ودفعها بقدمه وعند ذلك قالت :

— رحماك ياوالدي .. أقسم لك انى طاهرة الذيل لم تلوثني أدران الدنس ..

فأطفأت تلك العبارة نيران غضبه ؛ وارتسم الحنان الوالدي على وجهه ؛ فأنهضها من ركعتها ؛ دامعة العينين مسلوبة الرشاد .



الى الطائر (١)

أيها الطائر الجميل ، كلما أسمع صوتك العذب الشجى يمتلىء فؤادى غبطة وسرورا..آه..هل أسميك طائرا؟.. أو صوتا متجولا في الفضاء ؟..

وحينما كنت في بطن الوادي ، مضطجعا على الحشيش الأخضر ، طرق أذنى غناؤك اللطيف ؛ فرجعت الى ذكري أيام طفولتى وصباى ؛ تلك الايام الحلوه التى مرت كالسحاب

***

انى لا أجرأ على الاقتراب منك ياحبيب الربيع ، مخافة أن تفزع فتطير ؛ وأنا لا أطيق مفارقتك والابتعاد عنك

وعندما يكتنفني ظلام الحزن واليأس أذهب الى الغابات والرياض باحثا عنك . فأنت المبدد لهمومى وأحزانى، وأنت المرسل الى فؤادى أشعة الامل

(١) نشرت في مجلة الشرق والغرب عدد شهر فبراير سنة ١٩٢٥

* * *

كم أحب الاصغاء اليك وأنت تغرد ، انه يرسم امامى مناظر تلك الايام الماضية التي شربت فيها كؤوس الهناء مترعه .

مسكين أنت أيها الطائر . . أن العالم كثير آمايناصبك العداء . . وذنبك الوحيد انك جميل مغرد . . فما أعظم ظلم الانسان : :

موت المسيحي[1]

لقد ذهبت الى القبر . ولكننا لانبكي عليك . فأنت الآن آمن سعيد . أن أشباح الآلام والمتاعب قد تلاشت من حولك أمام أشعه حب الفادى الساطعة

* * *

لقد ذهبت الى القبر ، ولكننا لانحزن عليك ؛ فأنت الآن في راحة وسلام ؛ بين أحضان المخلص العظيم يحوطك جناحا رحمته الواسعان وتغمرك قبلات حبه وحنانه

* * *

وفي اليوم الرهيب تسطع شمس السماء فوق رأسك وترفرف حولك الملائكة بأجنحتها البيضاء .مغنية أشجى الاغانى . بينما يكون الخطاه فى ظلام الخوف والبؤس تائهين

* * *

لقد ذهبت الى القبر . ولكننا لانذرف من أجلك

---

١ نشرت فى مجلة الشرق والغرب عدد شهر فبراير سنة ١٩٢٥

دمعة . فأنت الان آمن سعيـد . أن الله قـد جلبك الى هذا العالم . ولكنه أخذك ثانياً ليضعك في أرض السعادة والسلام .

جون ملتون (١)

الشاعر الانجليزى الشهير

ولد جون ملتون فى مدينة لندن في شهر سبتمبر سنة ١٦٠٨ م . وأرسل وهو في فجر حياته الى مدرسة سانت بول . وهناك كان سعيداً بين رفقائه . وفي سنة ١٦٢٤ ذهب الى كلية كمبردج . وبارحها عام ١٦٢٤ وذهب ليعيش في هورتون القرية الجميلة الهادئة التى اعتزل فيها ولده . وهناك قضى خمس سنين في درس وعزلة وتأمل .

وحياة ملتون بعد سنة ١٦٣٢ كرواية تمثيلية تنقسم الى ثلاثة فصول ، في الفصل الاول يرى فى هورتون وهو في عزلة ؛ هادئا سعيداً . وثمار هذا الفصل « لاليجرو » أى « الرجل الفرح » و « السسيروزو » أى « الرجل المفكر » و « ليسيداس » وغيرها . وفي الفصل الثانى يرى وهو محاط بروائح المقت الحزبى والكره الدينى الكريهة

(١) نشرت في جريدة كوكب الشرق بتاريخ ٢٧ يوليه ١٩٢٥

وقد سبب ذلك تلك النيران التي تتوهج في رسائله النثرية والقصائد الثلاثة العظيمة (الفردوس المفقود) و(الفردوس المستعاد) (وعذابات شمشون) هي ثمار الفصل الاخير حينما صار مسنا . أعمى فقيراً

والتاريخ الحقيقى لانشاء (لاليجرو) و(الباسيروزو) غير معروف . وهاتان القصيدتان تصفان وصفا بديعـا هواء الصيف والربيع . والحقول المزدهرة المحيطة بهورتون وتشرحان الحياة الريفية البديعة ولكن ليس كما يشعر بها الفلاح ولكن كما يشعر بها طالب شاب متعلم ، يجول عند الفجر أو عند غروب الشمس فى الحقول . وملتـون يظهر نفسه أكثر في (البـانسيروزو) تلك النفس التى يقول عنها جونسون «لا يوجد فرح في حزنها ولكن قليلا من الحزن يوجد فى فرحها»

وصورته التى يرينا اياها عن البلبل والقمر في نصف الليل بديعة جداً . قال

« ايها الطائر الجميل المبتعد عن غوغاء البشرية الحمقاء

أنت موسيقى بارع . الا أن أنغامك يشوبها الحزن ولكني
أحب غناءك وهو يدوي وسط الغابات . .وحينما أكون
غائبا . أمشي وحيداً على الحشائش الخضراء باحثا عنك . .
فأرى القمر الجائل في السماء . مثل حسناء تائهة ـ تحني
رأسها أحيانا ، لتمر السحب الطاغية . فوق ذلك الرأس
الجميل »

وقصيدة ليسيداس ترجع الى سنة ١٦٣٧ كتبت رثاء
اصديق ملتون الحميم ورفيقه في الكلية ؛ الذى غرق وهو
عبر بحر « ارش » وهي تنتهي بهذه السطور

« كفاكم بكاء ؛ أيها الرعاة ، كفاكم بكاء . فان ليسيداس
سبب حزنكم وبكائكم لم يمت . . لقد اختفى في أعماق
البحر ؛ ولكنه سيرجع . فهو كالشمس تختفى في أعماق
المحيط ، ولكنها تظهر ثانية . . ان ليسيداس في الاعماق
ولكنه في الاعالى ، حيث تلك القوة الهائلة التى تحرك الامواج
وحيث الفرح والحب يقطنان دائما . . هناك هو يشرب
شراب الآلهة ويغتسل به ، ويسمع أغانى عذبه شجية

لا يمكن لواصف أن يصفها »

بعـــد أن كتب ملتون « ليسيداس » زار ايطاليا . ولكن زيارته لارض الجمال والغناء كانت قصيرة ، وما كتبه عنها كان قليلا . ففي أغسطس سنة ١٦٣٩ وطئت قدماه أرض انجلترا ثانية بعد غيبة مدتها خمسة عشر شهراً

ويشاع أن الاضطراب السياسية التى كانت قائمة في انجلترا هي سبب ايابه السريع من ايطاليا . ولكنه عوضا عن مبادرته بالاشتراك في المعركة السياسية شغـــل نفسه بتعليم بعض أبناء قرباه وبعض أبناء الاشراف . . . لا أنه لم يلزم الصمت طويلا . ففي عام ١٦٤١ كتب عدة مقالات على الاسقفيه . وفي سنة ١٦٤٤ أرسل الى البرلمان منشوره المشهور يقول فى بعض منه :

« ياأشرف وعامه انجلترا ، احترموا قبل كل شيء الامة التي أنتم منها والتي أنتم حكامها ، تلك الامة التى ليست بطيئة أو غبية ، ولـــكنها سريعة حاذقة . متوقدة الروح ؛ تواقة الى الاختراع ؛ ماكره ؛ قوية ؛ ذات كفاءة

تؤهلها للوصول الى أعلى بقعة تقـدر على ارتقائها القوة البشرية .

« أنظروا الآن الى هذه المدينة العظيمة . ملجأ السلام ومنزل الحرية ؛ انها ناظره الى أبطالها ، مردده أفـكارهم وآراءهم ؛ قائمة بكل ما يملونه عليها حتى ترتفع وترتقي ، متأملة ، باحثـة ؛ محاوله كل شيء ؛ مسلمة الى قوة الحق والاقناع . . »

وفي سنة ١٦٤٩ بعد اعدام شارلس ؛ قبـل ملتون بمركز كاتب لاتيني للحكومة الجديدة ، وظل كـذلك الى ان جاءت حركة الاصلاح . وعلاوة على رسائله اللاتينية التى كتبها في ذلك الوقت كتب عـدة كتب لاتينية دفاعا عن الحـكومة . ولكن هـذه لم تضف الا قليلا الى شهرته . وكتب ايضا القصيـدتين الجميلتين « الى اللورد الجنرال كرمويل » و « المذبحة المتأخرة »

وكانت كارثة العمى تهدده منذ وقت طويل . وفي عام ١٦٥٠ ذهب بصر عينه اليسرى وبعد ذلك بسنتين أصبح

كأنه في ظلام دامس لايري شيئا. وهوفي كثيرمن المواضع في قصائده الاخيرة يتوجع ويتألم لما أصابه . وأبدع هــذه القصائد هي « الفردوس المفقود » . ظهرت سنة ١٦٥٨ ؛ وهى تعتبر أثمن جوهرة في تاجة الادبى . .

وقد مدح ملتون كثيرا على اختياره الموضوع وعلى كيفية سيره فيه ؛ حتى أن كثيرين فضلوه على هومـوس وفرجيل ودانتى من هذه الوجهه . ويرجع أيضا مانالهمن سمو ورفعه الى جوده نظمه وجمال أسلوبه ورقى ورقة معانيه . . كان دائما يشتغل و يجهد نفسه كثيرا لــكي يقول أجمل مافى العالم ، وكان دائما ينجح . .

وجونسون يذكر لنا بعض تفاصيل عن كيفية معيشة ملتون في أيامه الاخيرة ؛ قال : « حينما يستيقظ كان يسمع فصلا باللغة العبرانية من الــكتاب المقدس؛ وبعد انينتهي كان يدرس الى الساعة الثانية عشرة ؛ ويلعب بعض الالعاب الرياضية ساعة ثم يتغذى ،ويلعب على الارغن ويغني ؛ أو يسمع آخرا يغنى ، ثم يدرس الى السادسة ؛ وبعدهايستقبل

ضيوفه الى الثامنة، وبعد أن يدخن قليلامن التبغ ويشرب كوبه من الماء كان يذهب الى الفراش » . ووصفه بعض زائريه قائلا انه رآه مرتديا ثيابا سوداء، جالسا في غرفة جدرانها مدهونة باللون الاخضر، مصفر الوجه قليلا، ممسكا بين أصابعه قطعة من الطباشير؛ هادئا شاخصا ببصره الاعمى الى لاشيء .

لم يكن بليد الفهم والذاكرة بعد أصابته بالعمى، فانه علاوة على كتابته (الفردوس المفقود) كتب الفردوس المستعاد وعذابات شمشون وتاريخ بريطانيا وعده كتابات نثريه أخرى نالت شهره عظيمه . ويظهر نواحه وتألمه على فقدان بصره في قصيدة(عذابات شمشون)
وفي نوفمبر سنة ١٦٧٤ مات ملتون ...

صعدت روح ذلك الكاتب العظيم والاديب الكبير الى بارئها ودفن بقرب والده في كنيسة سانت ليس

حكاية(١)

استيقظ هرم في منتصف لياه فرأي أمامه في الغرفة شعله من ضوء القمر وفى وسطها ملاك يكتب على صفحات من الذهب البراق

سأله بشجاعة قائلا :

ـــ ماذا تكتب ؟

فرفع الملاك رأسه ؛ ونظر الى العجوز وعلى فمه ابتسامة عذبة ثم قال :

ـــ انى اكتب أسماء أولئك الذين يحبون الله

فقال العجوز :

ـــ وهل أنا منهم ؟

أجاب الملاك

ـــ كلا . .

وعند ذلك قال العجوز بصوت مرتجف :

---

(١) نشرت في مجلة الشرق والغرب عدد شهر فبراير سنة ٩٢٠

— اذن أرجوك أن تكتب اسمي كأحد أولئك الذين يحبون أتباعه الصالحين

☆☆☆

اختفى الملاك . وفي اليوم الثاني جاء ثانيا الى الغرفة يحيط به ضوء ساحر خلاب : واقترب من العجوز ثم أراه اسماء محبي الله

كان اسمه في مقدمتها

المرأة الحديثة(١)

لو تذكرت حالة المرأة فى عهد اليونان القدماء لوجدت أن العقل يقلبها ! ولعلمت أن حالتها الحاضره ان هى الا بقية من همجية القرون الوسطى ، بدت لنا برداء جذاب أخفي عن أنظارنا حقيقتها

أننا نراها دائما تزج بنفسها فيما لم تخلق له ؛ مع أن لها واجبات من المحتم عليها أن تقضيها ،لان فى قضائها سعادة العالم وراحته

يجب أن تشتغل المرأة بأعمال منزلها . وأن تحسن غذاءها وملبسها ، وأن تتحاشى الاختلاط بالغير . وأن تتعلم الدين وتبتعد عن السياسة وعن قراءة كل كتاب خارج عن دائرة الدين والطباخة

أما الرقص والموسيقى والرسم الخ فهذه أمور ثانوية لامانع من أن تتعلمها في أوقات فراغها

---

(١) نشرت فى جريدة مصر الصادرة يوم ٢٧ اغسطس سنة ١٩٢٤

العرب (١)

رجع رسل المقوقس الى مليكهم بعــد أن مكثوا في ضيافة عمرو بن العاص بضعه أيام

فسألهم ان يصفوا له العرب

فأجابوا :

ـ لقد رأينا أنا سايفضلون الموت على الحياة ويؤثرون التواضع على الكبرياء . لا يميلون الى التمتع بملاذ العالم وملاهية يجلسون على التراب ويأكلـون طعامهم وهم جاثون وهم مع ذلك يغسلون اعضاءهم مرارا وتكررا ويصلون بخشوع واحترام يفوقان الوصف . . لا يمتاز القوى فيهم عن الضعيف ولا يعرف الانسان السيد فيهم من العبد .

---

(١) نشرت في جريدة مصر الصادرة يوم ٢٧ اغسطس سنة ١٩٢٤

التجربة

استيقظ هارون الرشيد فى صباح أحـــد الايام وهو مرتعش مضطرب • فنادى وزيره الامين جعفر وقال له :

ـــ لقد رأيت أحلاما مزعجة ياجعفر . . وانى اشعر الان أنى لست على مايرام • : فائتني بالطبيب

وجاء الطبيب

فقبض هارون على معصمه وقال .

ـــ قل لى ماتراه

فجس الطبيب نبضه ، ثم هز رأسه وأخذيغمغم بكلام لامعنى له . وأخيراً رفع رأسه وقال :

ـــ يا أمير المؤمنين . . كما أن قطع الذهب فى كيس التاجر . وأنغام الموسيقى في قيثارة الموسيقى وبذور القمح فى منطقة الزارع .كذلك أيامك في يد الله

فقال الخليفة

---

(١) نشرت فى جريدة السياسة بتاريخ ١ اكتوبر سنة ١٩٢٤

— نعم . . . انها في يد الله . . . ولكن .كم يوماً سأعيش على الارض .

فلم يجب الطبيب

ولكنه خر باكيا وخبأ وجهه بين يديه

فصاح الخليفة وقد وضع يده على قبضة حسامه .

ـ تكلم . . أخبرني في الحال

وصاح الوزير

ـ أفتح فاك . . لاتظل ساكتا . . كم سنه سيعيش مولاى .

فقال بصوت ضعيف .

ـ عشرون سنه . . عشرون سنه فقط .

فقال الوزير

ـ لم تنطق بسوء . . ولو انى كنت أريد أن تكون المدة أطول . . قم الان . . ليس لنا حاجة بك . .أن مولاى يريد النوم فاذهب

فانطلق الطبيب لايلوى على شيء

☆ ☆ ☆

أغمض هارون عينيه، ولكن عبثا حاول أن ينام..
فقال ·

ـ عشرون سنة ... عشرون سنة... كثيرة اذا أحسن استخدامها وقليلة اذا أسيء ... طويلة اذا قضيت في حديقة الخير وقصيرة اذا قضيت في جهنم الشرور. ان أيامى معدودة فماذا يجب أن أعمل؟ . جعفر - اذا كان هذا اليوم هو آخر أيامك - ففى اي شيء تقضيه ؟ ·

فارتعش الوزير

ولكنه قال بصوت خافت ·

انى أقضيه فى الكتابة . . . كتابة آيات المدح والثناء لجلالتكم ..

فقال هارون :

ـ انى أحبك كثيرا ياجعفر .. ولذا فمن الصعب على أن أجربك . ان قلبى لا يطاوعنى على ذلك. فاذهب الآن واحضر لى تاجراً وموسيقياً وفلاحاً · انى أريد أن أرى وأعلم ·

فخرج جعفر لينفذ أوامر مولاه

٭٭٭

ولم يمض وقت طويل حتي رجع الوزير ومعه الرجاله الثلاثة

وقال :

ـ هؤلاء هم يا مولاى . التاجر والموسيقى والفلاح .

فقال الخليفة بغضب .

ـ هل هذا حقيقى ؟ . أيجرأون على التلفظ بمثل ذلك الكلام ؟ . ويل لهم

فأجاب الوزير .

ـ نعم ياموﻻى . لقد قال الاول انك تجبى ضرائب كثيرة وقال الثانى انك منصرف الى اللهو تاركا شئون المملكة .

وقال الثالث ان اعدل هرب من بغداد .

فاحتج الثلاثة على هذه التهم

ولكن الوزير قطع كلامهم بقوله

— أنتم سفلة لئام . ان الجريمة ثابتة عليكم . فلا مفر لكم ولا نجاة .

وقال هارون :

— حسنا . اقطعوا رؤوسهم .

فارتمى الثلاثة على الارض صائحين :

— الرحمة . الرحمة .

فقال الخليفة :

— انكم لا تستحقون الرحمة . غير انى سأهيكم هذا اليوم .. وهذا اليوم فقط . أنتم أحرار الى المساء . ستموتون عند غروب الشمس .

وأشار الى الحراس فأخرجوهم

وعند ذلك ضحك الوزير وقال .

— انها طريقة حسنة . يا مولاى ! .

* * *

وقطعت الشمس ثلثى طريقها

فقال الخليفة :

ـ اني أريد ان أذهب لاراهم ؛ ولكي اقتطف ثمرة تجربتي هذه ..

ثم قام وخرج من قصره ومعه وزيره وبعض الخدم المسلحين

وساروا في شوارع بغداد حتى وصلوا الى منزل التاجر وكان السكون سائداً في أرجائه

طرق الوزير الباب وصاح قائلا :

ـ أين التاجر ؟..

فكان الجواب أنة خافتة

دخل الجميع المنزل فوجدوا التاجر مرتميا على الارض وهو يبكي بكاءاً مراً

فسأله جعفر .

ـ ماذا تعمل ؟

فأجاب :

اني أنتظر ساعتي الاخيرة .

فقال .

—أعلى هذا المنوال قضيت وقتك . اذهب وتمتع نفسك على الافل باحصاء نقودك

فقال التاجر .

—وما الفائدة . سأموت بعد قليل . اتركونى دعونى في سلام .

فقال جعفر :

—مسكين أيها الرجل . ان ..تتذ.. ربيطه فظيع . أليس من المستحسن أن ..رت الآن .

وقال الخليفة باحتقار .

— انى على رأيك يا جعفر :

وحالما سمع التاجر ذلك ؛ القى بنفسه عند أقدام الخليفة وأخذ يتوسل ويتضرع لكي يمهلوه ساعة أخرى

فقال هارون :

وما فائدة تلك الساعة ؟ . قم أيها الرجل . . وكن سعيدا . لقد عفوت عنك . .

☆☆☆

ذهب الخليفة ومن معه الى منزل الموسيق ؛ فطرق آذانهم ضجيج الرقص مختلطا بنغمات الموسيقى

دخلوا المنزل فوجدوا الموسيقى جالسا على عرش فى صدر قاعة واسعة . وهو يتناول الخمر والفاكهة

وكانت الروائح العطرية تتصاعد من أوان فضيه غاية فى الجمال

نظر الخليفة الى الموسيقى فرأى آيات السرور مرتسمة على وجهه رآه يبتسم للراقصين و يثنى رأسه متلذذا بنغمات الموسيقى

قرع هارون الارض بعصاه ، فساد سكون عميق ، في حين علت صفرة الموت وجه الموسيقي واهتز اهتزازاً عنيفاً

وقال الخليفة لوزيره

ـ انظر . . . لقد قضى صاحبنا وقته في حدائق اللهو والطرب .

فقال الوزير :

ـ ربما .. ولكن أليس من المستحسن أن نتركه وشأنه؟

فقال .

—حسنا . دعه . وهيا بنا لنري الفلاح

ولم يكد الموسيقي يسمع نبأ العفو عنه حتى قفز مسروراً وأخذ يرقص مع الراقصين

* * *

خرجوا من باب المدينة عند غروب الشمس وكان الخليفة يفكر ويتأمل فيما رآه

وصلوا الى الفلاح ، وكان يشتغل بفأسه فى الحقل ؛ وحالما وقع نظره عليهم تحول نحوهم ببطء وأخذ يمسح بيديه العرق النازل على وجهه الاسمر

فقال الوزير له :

—أنظر . لقد اختفى قرص الشمس وراء الافق . ان ساعتك قد دنت .

فقال:

— الله عظيم . انى مستعد .

قال .

—ما ذا صنعت في هذا اليوم ؟

أجاب :

ـــ لقد بزرت الحب . . وها أنا الآن أقلب الارض :

ـــ ولكن هذا اليوم هو يومك الاخير . ألا تعلم ذلك ؟ .

أجاب :

ـــ نعم أعلم ذلك . . وانى أشكر الله لانى لم أضع وقتي سدى . .

قال :

ـــ انك ستموت أيها الرجل . . فمن الذي سيأ كل تمرة كدك وتعبك ؟...

أجاب الفلاح بفرح :

ـــ ان زوجتى وأطفالى سيأ كلون .

وعند ذلك صاح الخليفة قائلا .

ـــ يالك من رجل طيب ! . . يالك من رجل طيب !

على العاقل أن يعمل كأنه يعيش الى الابد . . عليه أن يقضي بقية حياته ولو كانت قصيرة في عمل كل صالح . أن الذى

يعلم أنه سيموت غدا ! ويقضى ليلته بدون أن يعمل أى عمل نافع . . لهو نذل جبان . . خذ هذا . أيها الرجل الشجاع.

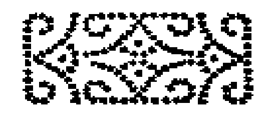
ووضع في يده كيساً مملوءاً من الذهب

ثم قال :

— لقد سببت لك اضطراباً وخوفاً . فاعف عني وأسأل الله أن يطيل عمرك . . أيها الرجل النبيل .

***

ورجع هارون الى قصره ونفسه راضية بنتائج تجربته القاسية . تلك التجربة التى علمته درسا كان له أثر عظيم في حياته .



عند منازل الاموات [1]

وحينما أنظر الى مقابر العظماء ، تموت عاطفة الحسد في فؤادى . وحينما أقرأ أسماء أولئك الذين ذهبوا . تتلاشى كل مظاهر العالم الفاتنة من أمام عيني . وتبدو مكانها النهاية المحزنة . وحينما أرى دموع الآباء على قبور أبنائهم تسيل دماء قلبي شفقة ورأفة

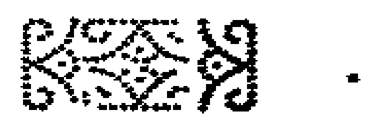
وحينما أرى مقابر الآباء أنفسهم . أدرك أنه من العبث البكاء على أولئك الذين سنتبعهم سريعا .

وحينما أرى الملوك بجوار أعدائهم . والعظماء بجانب مبغضيهم .. ترجع الى ذكرى حوادث أخفاها ضباب النسيان . فتمتلىء نفسى أسفا وتتسع عيناي عجبا من أعمال الجنس البشرى

وحينما أقرأ تواريخ المقابر ، لأولئك الذين ماتوا

(١) نشرت في عدد جريدة مصر الصادر يوم ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٤

البارحة - وأولئك الذين ماتوا منذ ستمائة سنة مضت اتذكر ذلك اليوم العظيم الذى فيه نلتقي ويرى كل منا الآخر بعد هذا الفراق الطويل



كلمات (١)

البخيل محتقر من طيور السماء

اذا صار الثعلب ملــكا فاجثوا امامه

تــكلم قليلا وافعل كثيراً

الشباب اكليل زهر

الغني هو الذى يقنع بنصيبه

صوت الشعب من صوت الله

اذا اردت الرفعة فتواضع

حياتنا أحلام تنتهى برقدة طويلة

نصف شقاء الناس ناتج عن محاولتهم الظهور بمـا ليس فيهم



(١) نشرت في جريدة مصر يوم ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٣

البلبل[1]

رأى الشعراء البلبل فسألوه

— أينما يكون موطنك .. ين تترك الغناء ؟

فأجابهم بأغنية من أغانيه الجميلة . أوقدت النار في قلوبهم ، فأطرقوا برؤوسهم الى الارض

ومرت لحظة ساد الصمت فيها بينهم

الى أن رفع أحدهم رأسه وقال :

— ما أغرب هذا الطائر ! . انه يفهم لغات العالم العديدة ولذا فقد زار كل مكان على سطح الارض

وقال آخر :

— انه لم يفهم لغات لعالم . ولكنه يتكلم بلغة يفهمها الجميع ولا يعلمها أحد سواه

فتاه الباقون في بيداء التفكير !

ولم يفه أحد ببنت شفه

---

(١) نشرت في جريدة السياسة بتاريخ ٢٦ أغسطس سنة ١٩٢٤

✡✡✡

كنت فى منزل جامع لاجناس كثيرة من البشر. وكان الوقت ليلا والظلام حالكا. فخرج البلبل من غابته المزهرة وحط على غصن شجرة قريبة. ثم ابتدأ يغرد

دوي صوته الجميل فى الفضاء ووصل الى مسامع الجميع

فقرم كل رأسه وأخذ يصغى وهو صامت ساكن

وكان تغريده لطيفاً محزناً

فبكى أحد الحاضرين وقال :

ـ اذهب عنا . أيها الموسيقي المحبوب . أيها الصديق العزيز . يا من نشأت تحت سماء وطني الصافية . ان قلبي قد فتح لك على مصراعيه . فأنا أحبك حدثني أكثر عن وطنى المحبوب وأهلى واصدقائي . انى اعرف تلك الحدائق الغناء . وذلك النهر البلورى : وتلك القمة ـ قمة الجبل ـ المتلألئة تحت أشعة الشمس الذهبية . وتلك المدينة المزدحمة بالسكان انى اعرفهم جميعا . لقد بدد غناؤك العذب ضباب النسيان عن ذاكرتى فتذكرت . يخيل الى انى أسمع خرير المياه المنحدرة

من التلال والغابات الى الحدائق القائمة على الشواطىء . آه . المياه الصافيه العذبة . والحدائق الغناء البهيجة . لماذا انا عائش الآن بين قوم غرباء مهموم النفس غارق في بحار التعاسة والشقاء .

فأجاب البلبل مغردا :

ـ للعالم شمس وقمر . تتمتع بهما في كل حين . الينابيع تصب مياهها لكل انسان . طائر الآمال يرفرف بجناحيه في كل قلب . ملاك الحب معانق للجميع : كمية الفرح عظيمة فخذ منها ما تشاء : سيضمنا في النهاية منزل واحد بين جدرانه وهناك في ذلك الوطن الاخير نلاقي من نحب .

فتنهد الباكي وصمت

وقال آخر بصوت متهدج :

ـ كيف تجاوزت حدود وطني ؟ كيف تركوك تذهب أيها الطائر الجميل ؟ . من الذى أخلى سبيلك ؟ هل تذهب ثانيا الى هناك ؟ اذا ذهبت فخذني معك . خذني الى الحقول المزهرة تلك الحقول التي ترعرعت فوق أرضها المكسوة بالخضرة

والزهر . انى حزين هنا • ويخيل الى أنى سأصير جثة هامدة قبل أن أحظي بالقبله • قبلة شمس الغد . سأموت غريباً لا يذرف أحد على قبرى دمعة

فأجابه البلبل :

ـ للعالم شمس وقمر . يتمتع بهما الكل في الحياة . السماء الزرقاء فوق رؤوسنا جميعاً . الآمال في كل فؤاد • لكل مخلوق نصيب من الفرح • وفي النهاية . سيضمنا منزل واحد بين جدرانه . وهناك تلاقي الصدق والحبيب

في تلك اللحظة انشقت السحب وبدا وجه القمر وهو يتهادى بين النجوم ـ فاختفت عند ظهور اشباح الظلام وحلت ملائكة النور

فهمس أحد الاجانب :

ـ انه لعلى صواب . ها هو القمر الذى تكلم عنه . اننا نتمتع برؤية ضوئه الفضى كما يتمتع ابناء وطننا الآن • ان الطبيعة تحبنا كما تحبهم • وفى النهايه . سنلاقى من نحب • فلماذا نحزن ؟...

فبدت دلائل الارتياح على وجوه الجميع ، وافتر كل ثغر عن ابتسامة عذبة ، كأن ذلك الطائر أزاح عن كاهلهم عبء الهموم وأنساهم مرارة الغربة والفراق

وذهب كل الى فراشه ونام هادئا ، تحت علم السلام والطمأنينة ، لايعكر صفو سروره معكر ، مستعداً للقيام بأعماله في الصباح ؛ ومتهيئا لاتمام أشق الاعمال

* * *

وفي منزل آخر جلس خادم عجوز أمام نار متقدة ـ وهو ينظر اليها متأملا

واخيراً قال بأسف :

ـــ انى مثل تلك الوقود ـ ـ لقد قاربت ان تحترق ـ ـ قاربت ان تحترق تماماً ـ وأنا كذلك ـ قاربت أن أحترق ـ احترق تماما .

ولكن صوت البلبل طرق اذنه في تلك اللحظة فتزاحمت الافكار على مخيلته المضطربة حتى لم يقو على احتمالها فصاح قائلا .

أصمت أيها الطائر . . . أغلق فاك . . . لاتعــد الى فؤادي ذكرى أيام الشباب . . . تلك الايام التي كنت متمتعا فيها بالقوة والنشاط . . حينما عيناى لا تتعب من النظر . . . وأذناى لاتــكل من السماع . . لاتعد ذكرى أيام السرور الى ذاكرتى . . . فانى قد صرت كسيحا ؛ عديم النفع . . . لاتذكرنى بحالتي هذه . . دعنى على الاقل أنسى الماضى . .

فأجاب البلبل :

ــ الماضى هو بعينه المستقبل . . اذا كان المستقبل مظلماً فذكري الماضى تنيره ... نسيم الماضى يلطف حرارة الحاضر . . شمس الحياة ساطعة في كل وقت . . . إننا نحجبها دائما بسحب الهموم والاكدار . . .

فاجتمع الماضى والحاضر والمستقبل واختلطوا فى مخيلة الرجل العجوز ، فانتعشت نفسه ؛ ونمت في فؤاده زهور الآمال العطرية . آمال ابن الاربعين !

وقال بصوت خافت :

— لقد صدق ... فشمس الحياة ساطعة فى كل وقت . الشباب هو الشيخوخة . . . في إمكان العاقل أن يحول شيخوخته شباباً . . . عليه أن يأخذ من مياه الشباب ويضع على مياه الشيخوخة . . . عليــه أن يمحو بذكرى أيام السرور حزن الحاضر . .

ثم استلقى على فراشــه ، ونام نوما عميقا ، وصوت البلبل يرن فى أذنه .



العمل (١)

العمل هو قانون الوجود . والدافع الذى يدفع الافراد والامم في سبيل التقدم

يظن الكثيرون أن العمل معناه الاشتغال بالايدى في الحقول والمعامل . ولكنهم مخطئون في ظنهم . اذ أن للعمل فروعاً عديدة يراها المجتهد الذكى بسهولة . ويعمى عنها الجاهل والكسول

قد يكون العمل عبئا ثقيلا على كاهل الانسان . ولكنه أيضا تاج مجد وفخار . ولولاه لصار كل شىء في الحياة ناقصا ولحرمنا من التطلع الى شمس الحضارة الساطعة ومن اقتطاف زهور التمدين العطرية

العمل صديق للجنس البشرى ، والبطالة عدوله ، انها تأكل أفئدة الامم كما يأكل الصدأ الحديد ؛ وتجرها بسرعة الى هاوية الموت الادبى .

---

(١) نشرت في العدد (١٤ و ١٥) من مجلة التاج الذهبى الصادر يوم ١٥ يناير سنة ١٩٢٥

الكتب (١)

وحينما ألج باب مكتبة من المكتب . أشعر أن الماضي قد صار حاضراً . أرى تلك الكتب مصفوفة أمامي ، فتجيبني بأمانة ، وتكلمني بما يشفي الغليل

انها صامتة دائما وتعد كلماتها صمتها بهيبة خالدة ، فكأنها تماثيل حلت فيها روح الآلهة . فإنها أشعة ساطعة ، تهدي العقول وتنير طريق الحياة

لم يجد علماء القرون الماضية من هو أشد أمانة من الكتب : فأودعوا في بطونها آيات حكمتهم : وسطروا على صفحاتها ثمار مباحثهم .

---

(١) نشرت في العدد (١٤ و ١٥) من مجلة شرح الذهبي الصادر يوم ١٠ يناير سنة ١٩٢٥

خطبة انطونيوس [١]

أمام جثه قيصر

الفصل الثالث — المنظر الثانى

من رواية «يوليوس قيصر» للشاعر الأنجليزى الشهير

شكسبير

أيها الاصدقاء . . أيها الرومانيون . . . ياأبناء وطنى الاعزاء . . أعيرونى سمعكم . . .

انى أتيت الى هنا لأدفن قيصر ، لا لأمدحه أمامكم . فان مايرتكبه البشر من الآثام يبقى خالدا بعدمماتهم . وما يفعلونه من الخير يدفن معهم في قبورهم . .

تلك هى حقيقة خالدة . . فانظروا من خلالها الى أعمال قيصر ، وانطقوا حكمكم عادلا

لقد قال لكم بروتوس ان قيصر كان كثير الطمع ،

---

(١) نشرت في مجلة الشرق والغرب عدد شهر نوفمبر سنة ١٩٢٤

فطعن بالخنجر جزاء طمعه . . فان الطمع جريمة يستحق مرتكبها القتل بلا رحمة ولا شفقة

كان قيصر صديقى الامين ؛ . عاشرته سنينا طويلة فلم أر فيه مايدل على طمع أو شره . غير أن بروتوس يقول انه كان كثير الطمع . وبروتوس رجل شريف

جاء قيصر بالاسرى الى مدينة رومية. وملأ بفديتهم خزينة الحكومة . بدون أن يأخذ درهما

فهل يسمى هذا طمعا ؟

صرخ مرة فقير جائع . فبكي قيصر . والطمع كما يقولون يحول القلب الى صخر أصم .

فهل هو كثير الطمع ؟

ولكن بروتوس يقول أنه كان طماعا. وبروتوس رجل شريف .

لقد شاهدتم جميعاً محاولتي وضع التاج على رأسه ثلاث مرات ، رأيتموه حينما رفض ذلك بإباء وشمم

فهل هو رجل طماع .

غير أن بروتوس يقول انه كان كثير الطمع وبروتوس رجل شريف

إني لا أريد أن أكذب كلام بروتوس. لان ذلك لايعنيني ولكنني فقط أريد أن ابوح لكم بما أعلم وبما يكنه فؤادي وبروتوس وحده هو الذي دعاني لاتكلم . فأتيت الى هنا ملبياً دعوته

إنكم أحببتم قيصر في الايام الماضية .فلماذا لاتذرفون دموعكم الان حزنا عليه . ما الذي يمنعكم عن ذلك . . أخبروني لاعلم .

أيها القضاء ، أن الناس قد فقدوا عقولهم . انهم قد أضاعوا رشدهم . ساعدني . فان قلبي قد خرج من صدري واستقر في تابوت قيصر . . يجب أن اصمت الى أن يعود الى ثانية .

* * *

بالامس كانت القوة كامنة في شخصه . أما اليوم فانه جثة هامدة لاتجد من يؤدي لها الاكرام الواجب

آه . أيها السادة أن في قـدرتي أن اصور جريمة بروتوس و كاسيوس بكل مظاهرها الفظية . ان فى قدرتى أن أوقد في قلوبكم نار الحقد نحوها . ولكنها شريفان . فلا يجب أن أفعل . انى أفضل الموت على التشهير بهما

أنظروا . هاهى وصية قيصر . . هذا هو ختمه . . أعفونى من قراءتها ولكن دعوا الأبواب يأتون الى هنـا بأنفسهم ويقرأونها . لـكى يذهبوا الى القائد الشهيد ويقبلوا جراحه . لـكي يخضبوا مناديلهم بدمه الطاهر ويتوسلون ليأخذ كل منهم خصله من شعره كي يحفظها كتذكار مجيد أو كـكنز ثمين

* * *

اذا كان في عيونكم دموع فاسكبوها . فهـذا وقت البكاء والنحيب

لاشك انكم تذكرون هذا الرداء . لقد ارتداه قيصر فى ليلة من ليالى الصيف البهيجة . وكان ذلك بعد انتصاره على نرفي

انظروا الى هذا الشق.. لقد دخل منه خنجر بروتوس الى فؤاد قيصر فسال دمه وخضب وجه الارض قتل بيد أحب الناس لديه فما أتعس الانسان وما أسرع تغيره

ولما رأى قيصر ذلك - لما رأى صديقه الحبيب يفعل ذلك حجب وجهه بردائه ثم خر صريعاً عند قاعدة تمثال بومبي

مات قيصر ! - اختفى ذلك البدر المنير ؟ ذهب ذلك البطل الشجاع ؟

فوا رحمتاه له

آه - انكم تبكون الان ، انكم تبكون أيها الاصدقاء - فما الذى يبكيكم ! أهو ثقب الرداء أم ذكرى قيصر

هاهو نائم الان - مطعونا بخناجر من كان يظن فيهم الاخلاص والوفاء

* * *

عفوا أيها الاصدقاء ليس لى يد في اثارة زوابع الحزن والالم في قلوبكم انى لم أقل سوي الحق وصوت الحق هو

الذى فعل كل ذلك

انى لست بليغاً كبروتوس حتى أفعل ذلك فانه لو كان
هو الذى وقف موقفي هذا ، لحرك كل حجر من حجارة
رومية ولحول كل جرح من جراح قيصر الى لسان ناطق

انتقام شمشون (١)

وأدخل شمشون الى القاعة - وكانت مملوءة بالاشراف والسيدات والكهنة

دخل لابساً لباس الخدم - يحيط به الحراس من كل جانب ويد كل منهم على قبضة سلاحه خوفا من بطش ذلك الجبار الاعمى

وحالما رآه أعداؤه داخلا صاحوا صياح الفرح والانتصار واخذوا يشكرون آلهتهم التى اوقعت عدوهم اللدود تحت رحمتهم .

ولكن شمشون لم يكترث لصياحهم ولم يعبأ بضجيجهم بل وقف ثابت الجأش قوى العزيمة

ضربوه بالسياط ضرباً مبرحاً . وأمروه أن يرقص ويلعب . فأطاع ولم يبد أى مقاومة

ومرت مدة طويلة وهو على هذه الحالة الى أن وقف

(٢) نشرت في مجلة الشرق والعرب عدد شهر اكتوبر سنه ١٩٢٠

قليلا مظهراً الاعياء ونادى دليله وطلب منه أن يوقفه بين العمودين الذين يرتكز عليهما سقف المكان لكي يستند عليهما لحظة؟

فأجابه الى ماطلب

☆☆☆

لمس شمشون العمودين بيديه ثم أحنى رأسه وقال بصوت خافت

ــ شددني يا الهي لاتتركني هذه المرة هبني القوة لكي انتقم؛

ثم صاح قائلا:

أيها الاشراف.. لقد أطعت أوامركم بدون مقاومة لقد تحملت منكم كل شيء بصبر عظيم والان حان لي أن انتقم

ودفع بيديه كلا العمودين فاهتزا اهتزازا هائلا ثم سقطا، وسقط بسقوطهما السقف الحجري على رؤوس الحاضرين

حدثت فرقعة عظيمة تبعتها صيحات ألم مبرحة ثم ساد السكون

هلك الجميع وكان عددهم يبلغ الثلاثة آلاف نسمة — على مذبح انتقام شمشون

ومات المنتقم أيضا على نفس المذبح

الخاتم الماسى [١]

كان لعجوز غنى ثلاثة أولاد ، فأعطاهم كل ما يملك وهو على قيد الحياة ؛ ولم يبق معه سوى خاتم ماسى ثمين

ففي أحـــد الايام أرسل العجوز أبناءه ليتجولوا في الجهات الغريبة والممالك القاصية ؛ وأمرهم بالرجوع فى يوم عينه لهم ؛ لـــكى يطلعه كل منهم على أجل عمل قام به في تلك الرحلة ، ومن امتاز عمله عن الآخرين كان مستحقا للخاتم الماسي

فتفرق الاخوة وذهب كل في طريقه

مضى الوقت المعين ورجع الثلاثة الى أبيهم وأخذوا يصفون له مافعلوه . . .

فقال الاكبر :

— في أحـــد الايام أتي الى رجل غريب وأودع كل

---

(١) نشرت في مجلة الشرق والعرب عدد شهر اكتوبر سنة ١٩٢٤

أمواله معي ؛ فحفظتها له بأمانة . . وحينما جاء ثانيا أعطيته اياها مضافا اليها فائدتها . .

فقال الوالد :

ـ حسنا . . ولكنك لم تفعل سوى ما يجب على كل انسان أن يفعله . . .

وقال الأوسط :

ـ رأيت ذات يوم طفلا يصارع الموت في احدى اللجج : فألقيت بنفسي في الماء وانتشلته من بين براثن الأمواج . .

فقال الوالد :

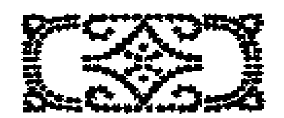
ـ انه عمل ينطوي على الشجاعة . . ولكنه لم يخرج عن دائرة الواجب . .

وقال الأصغر :

كنت جالسا فوق صخرة عالية . فرأيت عدوي اللدود نائما في غابة لم تلبث النيران أن اضطرمت فيها . . فقمت وأنقذته من الموت .

فصاح الولد صيحة فخر واعجاب وقال .

— خذ . هاهو الخاتم . . انه لك أيها الحبيب . . فان من يتبع تعاليم المسيح . تلك التعاليم السامية المقدسة لهو أهل أن ينال الجائزة التى وعدت بها .



الصديقان [١]

كانا في احدى المدارس الخاصة بتعليم التصوير . وكانا صديقين وفيين . اسم احدهما بطرس والآخر بولس . الا ان كلا منهما كان يود من صميم فؤاده أن يحرز الجائزة التى اعتادت المدرسة أن تعطيها لمن يرسم أحسن صورة في اثناء امتحانها السنوى .

والجائزة هي أن يذهب الطالب الى رومة ، ويمكث هناك على نفقة المدرسة مدة سنتين يدرس في خلالها فن التصوير على أيدى أساتذتها المهرة النابغين

وقد أرادت المدرسة أن تجعل كل طالب مستقلا بعمله لينال الفائز الجائزة عن جدارة واستحقاق . فوضعت كل واحد منهم في غرفة خاصة . بها جميع مايحتاج اليه من أدوات التصوير .

---

(١) نشرت في العدد ٢٤ من مجلة خيال الظل الصادر يوم ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٤

* * *

فرغ بولس من رسم صورته فأخذينظر اليهاوسحب الحزن تظلل وجهه؛ وأخيراً قال بصوت متقطع .

ـــ ان بطرس هو الذى سينـــال الجائزة ٠ . لاشك في ذلك . فهو أمهرنا وأحذقنا . . مسكين أنا . لقد حرم على نيل الجائزة . ولا يمكنني المكوث في هذه المدرسة اذا لم أحرزها . فان والدي فقير . آه . ليس أمامي سوى الموت. ليس أمامى سوى الموت

ثم أحنى رأسه وأخذ يبكى

✫✫✫

وكان بطرس في الغرفة المجاورة . فسمع كل ماقاله بولس فجاء اليه وبيده صورته . وكانت تفوق صورة بولس بمراحل

ولم يكد بولس يمعن النظر فيها ،حتى صاح والدموع تهطل من عينيه قائلا

ـــ ما أجملها ؟ . ما أجملها ؟ . انه سينال الجائزة بلاشك

آه . ما أتعس حظى وما أعظم شقائي

فقال له بطرس وعلى فمه ابتسامة

ـ لاتحزن أيها الصديق . عدني بانك لاتفوه ببنت شفة فأعطيك صورتي . لتقدمها كانها من صنع ريشتك وآخذ منك صورتك لاقدمها كانها من صنع ريشتى

فقال بولس بصوت خافت مرتجف

انى اعدك بكل شيء . انى اعدك بكل شيء

ثم اعطى كل منهما صورته للاخر

* * *

جاء اليوم الذى يعرف فيه اسم الفائز . فامتلات قاعة المدرسة بالطلبة والنبلاء والكهنة والسيدات وعلى منصة عالية قائمة في صدر القاعة كان القضاة جالسين

وقف أحد القضاة فساد سكون عميق لايعكر صفوه معكر ..

وتكلم القاضى

فكان الفائز بولس

وعند ذلك علا الصياح خارجا من أفواه الجمع المحتشد وتبعه تصفيق متواصل

وأشار أحد القضاة الى بولس ليصعد على المنصة ليوضع على رأسه التاج

* * *

تقدم بولس بوجه أصفر وعينين زائغتين ثم وقف على احدى درجات المنبر وصاح قائلا.

ـــ أن الجائزة ليست لى ـ فمحال ان آخذها ـ انها لذلك الصديق الامين .. انها لبطرس .. لم يرسم الصورة التي نالت الجائزة غيره ـ فهو وحده المستحق لأن يوضع التاج على رأسه ـ

وحينما سمع الجمع كلام بولس ظنوا أن الفرح قد ذهب بعقله ولكنه لم يلبث أن اخبرهم بالقصة ثم قال

ـــ لقد كان عمل بطرس غاية فى النبل ـ فانه فقير مثلى ومحتاج الى الذهاب الى روما مثلى فهو بذلك أراد أن يضحى مستقبله ـ

لزمت جانب الصمت - ولكنني فكرت طويلا ودفعني ذلك التفكير الى ان ابوح بكل شيء

* * *

وكان بطرس منزوياً في أحد أركان القاعه فلم يشعر الا وهو في الفضاء محمولا على ايدى اخوانه الطلبة

أوقفوه على المنصة وجاء أحد القضاة وبيده التاج ثم وضعه على رأسه بين تصفيق الحاضرين وصياحهم



الشاعر (١)

أخذ جولد سمث الشاعر الانجليزي الشهير يدرس فن الطب فلم يلبث ان صار طبيبا

ففي ذات يوم أتت اليه امرأة فقيرة وطلبت منه ان يذهب معها ليرى زوجها المريض فلم يتأخر لحظة وذهب الى هناك

دخل المنزل فرأي ظلام الفقر والشقاء مخيماً على ربوعه لم يكن الزوج مريضاً وانما كان يائساً لضيق ذات يده فانه لم يزاول عملا منذ مدة طويلة فكان جالسا لا يتكلم تحجب وجهه سحابة صفراء وخيل للشاعر انه يري مخالب الجوع آخذه في تمزيق أحشاء تلك العائلة

أخذ جولد سمث ينظر الى الرجل الحزين والاطفال المرتمين على الارض واخيراً قال للمرأة :

تعالى الى منزلى عند غروب الشمس فسأعطيك دواء لزوجك

---

(١) نشرت في العدد ٤٢ من مجلة خيال الظل الصادر يوم ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٣

ثم خرج من المنزل

☆☆☆

حان الوقت فذهبت المرأة اليه ؛ فأعطاها صندوقاً ثقيلا من الورق وقال لها :

— هذا هو الدواء ... واني موقن بأنه سيسير بزوجك في طريق الشفاء ... كلا .. لا تفتحي الصندوق الآن : أزيحي غطاءه حينما تصلي الى المنزل .

وحينما ذهبت المرأة الى منزلها جلست بجانب زوجها وفتحت الصندوق ، فوجدته مملوءاً بالنقود

☆☆☆

لقد أعطاهم الشاعر كل ما ادخره من نقود ؛ فانه تعود أن يبذل كل ما لديه للفقراء ، وبذلك لم يرتق درجة واحدة من درجات الغنى والثروة ! .

الذكري (١)

وفي ليلة هادئة ، حيـنما كان القمر ينير العالم بضوئه الفضى ؛ جلست وحيداً بين أشجار الحديقة المزدهرة . . وأخذت أفكر . فرجعت الى ذكرى أيام قضيتها سعيداً مع أصدقائى الاوفياء .

تذكرت دموع الطفولة وابتساماتها . وكلمات الحب التي كانت تخرج من أفواهنا حارة متقدة ؛ وعيوننا اللامعة بأشعة الذكاء ، وقلوبنا المفعمة بفرح الشباب

لقد ذهب الجميع الى عالم الضياء والنـور ؛ وتركوني وحيداً أتخبط في الظلام ؛ فذبلت زهرة الحب ، وحل الحزن فى الفؤاد ؛ وامتلأت العيون بالدموع .

٭٭

غرقت في لجة النوم . فرأيت أصدقائي الاوفياء الذين ضمهم القبر الى أحضانه ــ واقفين حولى ، ولم يلبثوا أن

(١) نشرت في العدد ٢٤ من مجلة خيال الظل الصادر يوم ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٤

سقطوا جميعاً على الارض ؛ مثل أوراق الاشجار في فصل الشتاء .. فأخذت أنظر اليهم والدموع تهطل من عيني ، والشهقات تتردد فى جوانب صدرى ..

تكاثف الظلام حولى ، فلم أر شيئاً ، وشعرت كأنى مشى وحيداً في منزل حالك الظلام رحل عنه الجميع سواى!

الملاك (١)

في ليلة من ليالى عيد الميلاد ؛ كانت النجوم ترصع وجه السماء ؛ والمصابيح اللامعة تنير شوارع المدينة ؛ بينما كان الثلج منبسطاً على أديم الارض ؛ ورياح الشتاء الباردة تهب هبوباً متواصلا

شعر الغنى والفقير في تلك الليلة بالحب والبركة آتيان من لدن المنعم العظيم ، فعلت أصوات الفرح فى الكوخ ؛ وانتشر السلام فى القصر ، ورنت أصوات الأطفال في كل مكان

غير أن الدهر أبى أن يجعل السرور شاملا جميع أهل المدينة فقد كان هناك منزل مظلم ؛ يسود في أرجائه سكون عميق لا يعكره سوى أنين طفل صغير على وشك الموت .

***

كانت الستائر الحريرية مسدلة حول سرير الطفل

---

(١) نشرت في مجلة الشرق والغرب عدد شهر ديسمبر سنة ١٩٢٤

المحتضر : وكانت لعبياته الجميلة متناثرة في جوانب الغرفة بينما كان شعره المجعد الذهبي منتشراً على وسادته الصغيرة

عجز الاطباء عن انقاذ حياة ذلك الطفل؛ فتركوه بين ذراعي أمه المسكينة التي وضعته على سريره، تزين وجهه آثار قبلاتها مختلطة بالدموع،

مسحت دموعها أخيراً، ثم ركعت بجانبه، حاولت أن تبتسم في وجهه ولكنها لم تقدر : واغرورقت عيناها ثانياً بالدموع، ومال رأسها الى الامام حتى استند على الوسادة الحريرية البيضاء

***

وفي تلك اللحظة حدث حادث غير منظور ؛ أوقف أنات الطفل المتوالية ؛ وأسكت دقات قلبه الضعيفة وأكسب وجهه صفرة بديعة رائقة

فقد حام ملاك محاط بنور لامع حول سرير الطفل وكان لابساً ثياباً بيضاء كالثلج ؛ وعلى رأسه تاج تتلألأ في وسطه نجمة تخطف الابصار

انحنى الملاك نحو العش الصغير وقد ظهرت آيات الحنان على وجهه ، وحمل الطفل بين ذراعيه ثم أسنده برفق على صدره . وارتفع ببطء فارداً جناحيه في الفضاء .

***

وضع الملاك باقة من الزهور على صدر الطفل . ثم قال بصوت لطيف كأنه رنين جرس ذهبي :

— اعلم أيها الصغير المحبوب أن آله السماء لا يهمل أي أى عمل أرضي صالح . ولو كان حقيراً لا يلتفت اليه ولا يؤبه له .

فهناك في السماء يعيش ذوى الاعمال الصالحة . ويلاقون أضعاف ما فعلوا من خير . الحياة قصيرة على الارض ؛ أما في السماء فانها طويلة لا تنتهي أبداً .

* * *

« لقد كان في أحد أزقة تلك المدينة القائمة تحتنا يتيم مسكين وكانت حياته عبارة عن سلسلة آلام ومتاعب

ففي أحد أيام الربيع الجميلة ! خرج من كوخه الحقير

وأخذ يتجول في شوارع المدينـــة حتى وصل الى سور حديقة في وسطها قصر شامخ يناطح بقبابه السماء

ذهب الى باب الحديقة ووضع وجهه الاصفر بين قضبانه الحديدية ناظرا الى جمال المكان نظرة دهشة واعجاب وحانت منه التفاتة ، فرأى طفلا يلعب بين اشجار الحديقة المزدهرة .

* * *

« طال وقوف اليتيم حتي سئم الخدم رؤية وجهـــه الذي يمثل الجوع والفاقه اعظم تمثيل فأعطوه قطعة من النقود وامروه بالذهاب فلاحت دلائل الحزن على وجهه وتدحرجت من عينيه دمعة حارة

ورآه الطفل فنظر اليه بعطف ، وكاد قلبـــه الصغير يذوب شفقة عليه فوثب الى شجرة كان يحبهـــا كثيراً ؛ واقتطف بعضاً من زهورها اليانعة ومديده من بين القضبان ثم قدم الزهور الى اليتيم قائلا بصوته العذب الشجي

ـــ الوداع

* * *

« وفي صباح اليوم التالى وجد الطفل جثة هامدة بينما كانت روحه الطاهرة محمولة على صدر ملاك صاعدا الى السماء ومعه باقة من الزهور ؛ اقتطف كل زهرة منها من كل مكان يحبه الولد ويحنو اليه »

وصمت الملاك برهة ثم قال

ــ ان تلك الباقة الموضوعة على صدرك أيها العزيز سترتدى رداء الجمال الخالد بعد أن تتناولها يد الله فانه حينما يموت طفل صالح يأتى ملاك ويحمله ويأخذ من كل مكان يحبه الطفل زهرة ثم يضم الزهور الى بعضها لكي يقدمها الى الخالق العظيم

* * *

وكف الملاك عن الكلام ثم طوق بذراعه خصر الطفل النحيل بينما كان الطفل يتفرس في ذلك الوجه المضىء وتلك العينين الناظرتين اليه نظرات العطف والحنان وقد أشكل عليه فهم مايعنى ذلك الغريب

فقال له الملاك وعلى فمه ابتسامة

ــ ان الله هو الذى أرسلني لاتى بك اليه - فانه لايجب أن تدنس ارجاس العالم نفسك المحبوبة.. لقد كنت انا ذلك الطفل الصغير الذى قدم زهوره الى الرجل اليتيم

* * *

وقربا من السماء فطرقت سمعهما أصوات موسيقية عذبة هي أصوات الملائكة السابحة فى الفضاء وبدا لانظارهما ضوء ساحر خلاب

فرفرف الملاك بجناحيه وضم الطفل الى صدره ثم انغمس به في تلك الانوار الساطعة

السلام (١)

... وذهبت أبحث عن السلام في القرية الجميلة الهادئة ولكن لم أكد أطأ شوارعها الضيقة بقدمي حتى طرق أذني صوت الرياح الهادئة بي وهي تقول :

— كلا . . . ليس السلام هنا . . . فسر في طريقك وابحث عنه في مكان آخر ...

***

وقادتني قدماي الى الحرس الكثيف ، فدخلته مؤملا أن يكون طائر السلام مختبئا بين أشجاره العالية : ثم سألته قائلا :

— أيها الحرش الجميل ... أفي جوفك يرفرف طائر السلام بجناحيه البيضاويين ؟ . . . بربك أخبرني . . . فقد بحثت كثيرا ...

ولكنه أجابني بضجيجه المرعب :

(١) نشرت في جريدة الوطن في ٢ ديسمبر سنة ١٩٢٤

— كلا ... ليس السلام هنا ... فابحث عنه في مكان آخر ...

***

أخذت بعـــد ذلك أجول في البرارى والقفار باحثاً
عن ضالتي المنشودة ولـكن بحثي كان بلا جدوى
أعيانى التعب أخيرا ! . . فارتميت على الارض يائساً

***

ومر بى شيخ عجوز
فسألته بلهفة قائلا :
— أيها الأب المحترم ... أتعرف أين السلام ...
أتعرف أين السلام ؟ ...
فابتسم وقال :
— قف على قدميك وتعالى معي

***

أخذ بيدى وسار بى الى قبر في وسط روضة نضرة
فوقفت خاشعا صامتا

ورن صوت الشيخ في أذني وهو يقول :

— هنا يكمن السلام ... في جوف هذا القبر ...

وخيل الى ان العالم يصرخ قائلا :

— في جوف القبر ... في جوف القبر ...



هلاك الاشوريين (١)

وزحف الاشوريون على مدينة أورشليم كالذئاب الجائعة المفترسة تتلألأ دروعهم تحت أشعة الشمس الذهبية

ويشبه بريق أطراف أسنتهم لمعان الماء عند انعكاس أشعة النجوم على سطحه

حين تتلاطم أمواج «بحر الجليل» الزرقاء اذاما أسدل الليل ستاره الاسود القاتم

***

وعندما أوشك قرص الشمس أن يختفي وراء الافق كان أولئك القوم يبدون بأعلامهم المرتفعة في الفضاء مثل أوراق أشجار غابة مزهرة، أبان فصل الصيف ولكن لم تكد ترتفع الشمس ثانيا. حتي كانت تلك الجموع منطرحة على أديم الارض!..

كأنها أوراق أشجار الغابة عند حلول فصل الخريف

---

(١) نشرت في مجلة الشرق والعرب عدد شهر سبتمبر سنة ١٩٢٤

✡✡✡

فقد فرد ملاك الموت جناحيه فى الفضاء الواسع ونفخ في وجوه الاشوريين الغارقين في لجة النوم فلم يلبثوا الا لحظة ... ولفظوا النفس الاخير :

وشخصت عيونهم فى الفضاء المظلم شخوصا هائلا مريعا .

✡✡✡

وأشرقت الشمس . فارتفع الستار عن منظر رهيب فقد كانت جثث الخيول متراكمة ، وقد فتحت أفواهها الكبيرة التي كان يخرج منها زبد أبيض ، يغشى الحشيش الاخضر بارد مثل رذاذ الماء الذى رفعه في الفضاء اصطدام الامواج بصخور الشاطىء الصماء

✡✡✡

وعلى الارض كان الفرسان مرتمين بلا حراك صفر الوجوه ، يغطى الندى المتساقط جباههم الباردة ويعلو الوحل دروعهم النحاسية ...

بينما كانت الخيام ساكنة . والاعلام متناثرة . والرماح
مبعثرة والطبول صامتة صمت القبور .

***

وفي مملكة أشور ارتفع صياح الارامل في كل مكان
وتكسرت تماثيل الآلهة في معبد « بيل » اله الشمس
وهكذا ذهبت قوة الوثنيين فى لحظة ..
أمام أشعة الاله العظيم



انتقام بديع

اثناء حكم الخليفة هارون الرشيد كان في مدينة بغداد حلاق ماهر اسمه على ساكال

كان مشهوراً بالمهارة الفائقة في حرفته. اذ كان في استطاعته حلاقة الرأس والذقن وهو معصوب العينين بدون ان يهرق نقطة واحدة من الدماء

ولذلك لم يكن في المدينة أحد لم يستخدمه . وأثر ذلك فيه أخيرا ، فأصابته الكبرياء ، وأصبح معجبا بنفسه ، وأبى أن يحلق لغير العظماء وأصحاب المكان الرفيع

وحدث ذات يوم ان حطابا فقيرا، حديثا في مهنته ، وجاهلا بأخلاق على ساكال ، ذهب الى حانوته وعرض عليه ان يشترى منه مامعه من حطب كان قد تكبد نصبا كبيرا في جلبه من مكان بعيد في المملكة على ظهر حماره

اتفق الحلاق معه على ثمن ، وأعطاه له ، مشترطا ان يأخذ كل ما على الحمار من حطب..!

فوافق الحطاب على ذلك ، بدون ان يرتاب بهذا الكلام وأفرغ الحطب على الارض، ثم انثني ليذهب أوقفه الحلاق وقال له بخشونة .

ــ انك الى الان لم تعطنى كل الحطب يجب ان اخذ « الجل » فهو مصنوع من الحطب .. لقد اتفقنا على ذلك... فلا مناص ! ...

فصرح الآخر مندهشا وقال .

ــ كيف ... كيف :.. لم يسمع أحد بمثل هذا ... ان ثمنه عظيم جدا ... ان ثمنه يوازى اضعاف ماأعطيته لى الآن ... فكيف تأخذه منى ! ... محال ان ارضى ...

ولـكن ذلك لم يجد نفعا ، فان على نزع « الجل » عن ظهر الحمار عنوة واقتدارا .. ثم طرد الحطاب المسكين دامع العينين وهو في حالة يرثي لها !..

ركض الى القاضى وأخبره بالقصة، طالبا العدل، ولكن القاضى كان من زبائن وأنصار على ساكال ، فضم اذنيه عن سماع شكواه ! ..

انطلق الرجل الفقير الى المفتى ، الذى فكر في الامر، وأخيرا قال انه من المصعب عليه أن يحكم ، فانه ليس لمثل تلك القضية حكم في القرآن ... ونصحه أن يحتمل ماألم به من خسارة تسببت عن جهله

لم يقنط الحطاب ،وبعث بشكوي الى الخليفة نفسه ،الذى كان اهتمامه بقراءة الشكاوى التي ترد اليه مشهورا. ولذا لم يمضى وقت طويل حتى دعى الحطاب الى حضرته

ركع الحطاب بين يدى الخليفة وقبل الارض ثم وقف محنيا رأسه ومنتظرا حتى يبدأ هارون بالكلام

قال الخليفة :

ـ ايها الصديق ... ان الحق في جانب الحلاق .. فانه اتفق معك قبل ان يفعل مافعل ... يجب ان تحترم الاتفاقات وأن تنفذ و الا انتشرت الفوضى وعدمت الامانة بين الناس.:.

ولذا ليس لك الا ان تصمت وتحاذر ان لا تقع في مثل هذا الشرك مرة اخرى ...

فأحني الحطاب رأسه وخرج لايلوى على شيء

وبعد ان مرت عدة أيام ، ذهب الى دكان الحلاق وكانه لم يحدث شيء بينهما ، وطلب منه برفق وتملق أن يمتعه هو وأحد رفقائه بمهارته بأن يحلق لهما شعرهما

رضى على بذلك خلافا لخطته الجديدة ، واتفق معه على ثمن لاجله ولاجل رفيقه ..

انتهى دور الحطاب فسأله على ساكل عن رفيقه : — أين هو ؟ ..

فأجاب :

— انه واقف هناك .. ها انا ذاهب لاحضره ..

وخرج وعلى فمه ابتسامة

ثم رجع ثانية ...

يقود . . . . حماره ! ..

وقال :

— ها هو رفيقي أيها الصديق . . . . من المحتم عليك الان أن تحلق له شعره .. !

صاح على صياح الدهش والعجب ..

وانقلبت دهشة الى غضب هائل

وقال :

ــ خسئت ياابن اللئام ... ألم يكفى اهانة انى رضيت بأن أمسك بيدى حتى تطلب منى بأن أحلق شعر حمارك... يالك من وغد سافل ... أخرج.. أخرج أيها الدنىء .. أخرج والا ضربتك ضربا مبرحا ... وأنت تعلم انى قادر ... !

وطرده هو وحماره من الحانوت ..

ذهب الحطاب توا الى قصر الخليفة . واذن له بالدخول. فلما مثل بين يديه قص عليه كل ماحدث

فقال أمير المؤمنين :

ــ هذا حسن ... أحضروا على سا كال ومعه امواسه الى هنا في هذا الوقت ..

ولم تمض عشرة دقائق حتي وقف الحلاق امام الخليفة وهو فزع مضطرب ..

قال هارون له :

ـ لماذا رفضت أن تحلق شعر رفيق هذا الرجل ؟..
ألم تتفق معه على ذلك ؟ ..

فقبل على الارض وأجاب :

ـ هذا حقيقي ... يامولاي .. لقد اتفقنا على ذلك...
ولكن من اتخذ الحمار رفيقا من قبل ؟ .. من طلب مثل هذا الطلب ؟.. ليس هناك أحد ....

قال الخليفة :

ـ قد يكون كلامك حقا ... ولكن في الوقت نفسه من استولى على «جل» خشبي بطريقتك تلك ؟... كلا .. كلا .. انه دور الحطاب الآن... هيا .. الى الحمار مباشره .. ها هو امـــامك .. والا فأنت تعرف النتائج حق المعرفة ..

اضطر الحلاق ان يعد كمية كبيرة من الصابون لكي يغطي برغوتها كل جسم الحيوان . كي يحلق له شعره في حضرة الخليفة أمام جميع افراد البلاط ! ..

وبدأ في عمله ..

ولا تسل عن كلمات الهزء والسخرية التي كانت تصوب

اليه من كل جانب ..

ولا تسل عن تلك الضحكات التى كانت ترن رنينا متواصلا حوله ..

لقد كان الانتقام بديعا ... بديعا جدا ...

وجاء جنديان يحملان كيسا من النقود أعطياه الى الحطاب الفقير ..

تأمل (١)

الفرح يأتي ثم يذهب. وموجة الامل تغدو وتروح وهى تتلاعب بقوة الجنس البشرى . وسراج الحب ينير قليلا من ظلمات الحياه... ولكن أخيرا ، في ظلام القبر البارد.. ينقطع كل ذلك ويسود السكون..

تهبط الاعلام وترتفع . ويبتسم الاصدقاء ثم يموتون مثل زهور الربيع !... تأمل في الحياه .. انها جنازة طويلة.. يحضر في اثنائها البشر قبورهم بدموعهم الحارة ..وهم يرقبون النهاية بقلوب استولت عليها الشكوك والمخاوف

نتساءل ... هل نرى هناك ــ في العالم الاخر ــ تلك الوجوه المحبوبة التى ابتسمت ثم اختفت سريعا ؟..هل نشاهد مياه الحياه تجري فيها؟..وهل نرجع الينا هناك تلك الساعات البهيجة التى مرت كالسحاب؟..ولكن ليس من جواب..فذلك سر لا يعلمه الا من فارق العالم .

(١) نشرت في مجلة الكرمه عدد شهر يوليو سنة ١٩٢٥

الانسان (٢)

اذا رأيت قطعة من الارض قد انفصلت ، وأخذت تمشي وتتكلم وتحب ، ألا ترتعش وتصيح صيحه دهش وعجب ثم تقول : — كيف تتحركين وتتكلمين وتحبين وأنت قطعة من الارض لاروح لها ولاحياه..

أرى الانسان — وهو قطعه من الارض — يمشي ويتكلم ويحب ،فأقول وقلبي يملأه العجب وتستفزه الدهشه : — أيتها الارض .. كيف انفصل منك هذا الجزء وأخذ يفعل كل ذلك...أخبريني لاأعلم...

وعند ذلك يخيل لى ان اسمع صوتا يقول : — هنالك قوة عظيمة قد صيرته كذلك .. قوة خارقة للعادة لايمكنك أن تتصور مقدارها مهما أجهدت فكرك ..

هى قوة الله

---

(٢) نشرت في مجلة الكرمه عدد شهر يوليو سنة ١٩٢٥

الكاتبة(١)

كانت كاتبه روائيه وكانت تسمي نفسها سوزان مازارين مع ان اسمها الحقيقى كان «جان سميث». وكانت كتابتها مملوءة بالحياه ، والقوه ، والاراده .. حاوية لكل غريب ومدهش ، مما جعلها محبوبة لدى الجميع، يستعيدونها مرارا وتكرارا بلا سأم ولا ضجر

كتبت عن الحب الذى لايكل ..الحب الذي لا يهرم .. الحب الذى لايموت ... ذالك الحب الذى يشتاق كل واحد لأن يذوق طعمه .. وكل واحدة تشعر به ... كتبت عنه بدون ان تذوقه او تشعر به

غير انها كانت تؤمل وترجو ان تحب وتحب مثل هذا الحب الذى املاها خيالها وصفه . ولو انها لم تكن تسمع لاحد من المشتاقين لرؤيتها — وهم كثيرون — بمقابلتها

في ذات يوم ، بعد ان مرت بضعة شهور على ظهور رواية «الحب في الاحراش» وصلها خطاب من كندا، شكرها

(١) نشرت فى جريدة كوكب الشرق في يوم ٥ اغسطس سنه ١٩٢٥

فيه الكاتب على السرور الذى سببه له كتابها الأخير

ذكر لها بانه قرأ كل كتبها بشغف وشوق،وأراد أن يكتب لها ليشكرها ،ولكن لم تكن لديه الشجاعة الكافية للقيام بذلك ،غير أن روايتها الأخيرة ،بوصفها الغريب للحياة الكندية ومناظرها ، جعلته يطرد عن نفسه الخوف والحياء ، ويرسل لها خطابه ليشكرها على السرور — الماضى والحاضر — الذى سببته له

وذكر أيضاً أنه يؤمل أن مس مازارين تزور كندا ثانية ٠٠ ورجاها أن تشرف مدينة وتبيج بحضورها اذا قامت بتلك الزيارة حتى يتمكن من شكرها شخصيا

وكان التوقيع «جون نورنتون»

قرأت مسس مازارين الخطاب عدة مرات ٠٠ أعجبها الخط .والطريقة التي بها كتب ٠ وكل صغيرة و كبيرة فيه ودهشت كيف أن الرجل يهتم بالكتابة لها وبينهما تلك المسافة الشاسعة

كتبت له الرد مطولا أكثر من اللازم،وفي خلال سطور

خطابها كان هناك شيء من التلميح بأن يواصل كتابته لها . . واذ ذاك صارت بينها وبين «رجل الغابات» كما دعته مكاتبة لاتنقطع . .

كانت خطاباته مملوءة بالبهجة . . كان يكتب عن نفسه . . واستنتجت مس مازارين من ذلك ، ومن القوة التي تجول فيما يكتب ، أنه شاب ، قوى ، لطيف ، شاعر ، عادل ، كريم . . مما أرجع الى فؤادها حرارة الشباب التي ذهبت ؛ وجعله يخفق بشدة .

وبعد أن مرت سنة على تعارفهما ، صارت المكاتيب التي ترد لكل منهما من الآخر تكاد تذوب رقة وحلاوة . فكأنها نجوي غرام صامته . .

وعند ذلك دبج يراع مس مازارين رواية أخرى . . لم تخبر جون ثورنتون بكتابتها لها لكي يعظم اندهاشه وتعجبه حينما يرى أنه البطل فيها ؛ وأسمتها «عظمة في الغابات» وقد ظهر عندئذ كل أما الكاتبة من نبوغ وعبقرية . .

كانت مترددة . . وكانت تهم من حين الى آخر بأخذها من

أيدى الناشرين خائفة من أن تكـون قـد ظلمت بطلهـا فيغضب :.. فان الكـبرياء منطبعة على كل ورقة أرسلهالها :: واذ ذاك ينقطع حبل المكاتبة بينهما .. وهذا مالا طاقة لها به . ولكـن الرواية فى النهاية ظهرت

كان الموضع الذى حدثت فيه الحوادث الخيالية للرواية كندا أيضاً على شواطىء بحيرة وينبج حيث الغـابات كثيرة الاشجار وكان الجمال ممثلا فى شخص وأخـلاق البطل كانت الرواية عبارة عن يوميـة فتاة عذراء بديعة الجمـال تصف مقابلتها للشاب الكندى الجميل تحت أغصان الاشجار حيث يتبادلان عبارات الحب بينما الجبال شاخصة اليهمـا من بعيد وصوت المياه المنحدرة من الشلالات يدوى من أذنيهما دويا شـديدا

... والحياة .. والحب والقوة . كانت بادية في كل صفحة من الرواية

انتظرت سوزان تتلاعب بها الحيرة ، وأخيرا جاء الخطاب من ثورنتون . ذكر لها بانه حاول أن يحرزه

لها ، ولكنه لم ينجح . خاف أن تتكدر اذا طلب منها صورتها. ولكنه رأى أخيرا صورتها ، بين سطور كتاب « عظمه في الغابات » . صورتها الجميلة التي تفتن العقول وتحير الألباب .

ومرت سته شهور . . فامتلك الحب القلبين ولم يترك فراغا فيهما . . وأصبحا يتبادلان عبارات الحب والغرام ؛ مع انهما لم يريا بعضهما الا في مرآة كتاباتهما التي ظن كل منهما أن الآخر يصور فيها نفسه

وبعد ذلك بقليل وصل خطاب الى سوزان من حبيبها ، يقول فيه بأنه عزم على السفر الى انجلترا. وحيث أن مكانها قريب من ليفربول ؛ فهو يرجوها بأن تقابله وهو في طريقه الى لندن . .

سارت سوزان الى غرفتها والخطاب في يدها . . ونظرت الى المرآة . . رأيت جبينها مجعدا . . . . ورأت شعرها وقد لعب به المشيب . . لقد بلغت الخامسة والاربعين من عمرها . . . .

امتلأت عيناها بالدموع . . . بكت على آمالها التي ستخيب . . . وبكت على أيام شبابها التي قضتها في العمل

الشاق ولم تتمتع بها . . . . وأخذت تتمتم قائلة « انه سيأتي . . .
انه سيأتي . . يظنني في الخامسة والعشرين . . جميلة . . يظنني
تلك التي قرأعنها في الروايه . . يظنني مثله في سن الشباب . .
فماذا لو رآني على هذه الحال . . لاشك أن حبه يتلاشي . .
أجل . . يتلاشي . . ولاشك أنه يتركني . . »

فكرت في أن لاتقابله ، ولكنها أخيرا ؛ أرادت أن تبين له الحقيقة برمتها . وجاء اليوم الموعود ؛ وهو يوم احتضار آمالها وحبها . . . فارتدت ثيابها باعتناء زائد وهي لا تحول نظرها عن المرآة . .

ذهبت الى الميناء المتماوجه بجموع الناس ؛ وكان فؤادها يدق بشدة وسرعة . . وكانت عيناها تمتلىء من حين الى آخر بالدموع . .

لم تؤثر الغوغاء المحيطه بها في مجرى أفكارها . شعرت بأنها وحيدة في العالم وبأنها في حاجة كبرى الى حبه . . ولكن واأسفاه . . سيتركها حالما يراها . . تلك كانت أفكارها . . ووقفت في زاوية من الممر ؛ وأخذت تنظر الى جموع المسافرين

وهي تمر . . كانت موقنه بأمنها تعرف بطلها الشاب ـ حسب زعمها ـ حالما تراه . . . وأخيرا وقع بصرها على حقيبة يحملها حمال ؛ كتب عليها « جون نور تتون » ؛ وبجانب الحمال كان يمشى رجل صغير الجسم ؛ معظم شعره أبيض ، يدل منظره على أنه بلغ الخمسين من عمره ؛ يرتدي معطفا ويعبث بأصابعه بحلقة من المفاتيح

كانت تظنه شابا فاذ به شيخ

نادته سوزان أوجان باسمه ، بلهفة وسرعة ، فوقف ونظر اليها ثم قال :

ـ هل أنت من قبل مس مازارين ؟ . .

فتمهلت جان . .

قالت في نفسها وهي باسمة « محال أن يفكر بأني أنا هي . . !

وأخيرا قالت بتلعثم :

ـ نعم .

رفع قبعته ، فظهر رأسه الأصلع ، وقال لها بصوت لطيف :

— انه كرم منك أن تحضري ياسيدتي : هل مس مازرين في أحسن حال؟ . .

— نعم . . .

— أمشغولة هي حتى لم تحضر ! . .

فاهتزت جان وقالت :

— نعم . وقد اوعزت الى بان أحضر وأقابلك

فبدت لوائح الحزن على وجه الرجل . ولكنه تمالك نفسه سريعا وقال :

— ان صديق مس مازارين صديق لى . لقد جئت الى انجلترا وأنا لا أعرف أحدا فيها . . وانا ذاهب الى ليفربول لاقضى فيها بضعة أيام ، ؛

وصمت لحظة ثم قال .

— هل لى الشرف بان أعرف أسمك يا سيدتى !

— اسمي جان سميث . .

ـ هل لى الشرف أيضا بان أدعوك لتناول طعـام الفطور معى . .

وكان في طلبه من التوسل ما فيـه . فلم تستطع ان ترفض . واجابته بالقبول . ثم فارقها . وبعد قليل التقيا على مائدة الافطار . .

دارت المحادثة بينهمـا في باديء الامر على مواضيع عادية وعمومية . واخيرا قال الرجل وهو يرتعش

مس سميث . يظهر لى انك صديقـة مس مازارين الحميمة . ان لى اعترافا كنت اود ان فضى به اليها منذ زمن طويل . والخوف يمنعني . . وقد اتيت الى هنا لهذا الغرض اما وقد جئت فلا مانع من ان أذكره لك لكي تخبريها به فتريحيني من حمل ثقيل ملقى على عانقى

فانقدت عينا جان . .

ـ انى احبها من كل قلبي . ولو انى لم أرها . ولكننى أشعر بانى مذنب لانى لم ابن لها حقيقتى . غششتها . لم أبن

لها بانى اصلح لان اكون والدها لازوجهـا . اذ ان نهاية الحب الزواج

والآن فاناسألتها القدوم الى هنا لار. ها الحقيقةبالرغم عن تألمي الشديد لذلك . . تألمي الذى لا يوصف . لاشك أنها تدركني حينما تراني على حالتي هذه . لاشك أن جذوة حبها تخمد . فهي صبية وحسناء . ولذا فانا أخاف أن اذهب اليها : . أجل . . أخاف . فهل لك أن تخـبريها وتصوري لها الحقيقةبدلا عني :

فامتلأت عينا جان بالدموع وقالت .

ـــ نعم سأخبرها ! .

وقال الرجل متنهدا بصوت عال .

ـــ محال ان تدركي مقدار آلامي الآن !

وساد سكون عميق بينهما

واخيرا قالت جان .

ـــ هل أقول لها بانك لا تريد مقابلتها ؟

فاجاب .

ـــ كلا . كلا . بل قولى لها بانى لا اجرأ . مس سميث أشعر بانى عرفتك منذ وقت طويل . ولا أدرى لماذا : . وأنا أحب أن أراك كثيرا ! ،

فاحمرت وجنتاها ، ولكنها قالت

ـــ هذا موقوف عليك ! : لقد اعطتنى مس مازارين رسالة اليك . .

ـ أعطتك رسالة ! . . .

ـ نعم . وهى ترغب أن نخبرك بان اسمهـا الحقيقي ليس سوزان مازارين

فسأل بلهفة قائلا :

ـ أذن ما هو اسمها الحقيقي ؟

فكان الجواب :   ـ جان سميث :

وتلاقت النظرات . وعلا صوت ضحك في المـكان الذى ليس به سواهما . . ولم يلبث أن دوى صوت قبلة حارة طويلة . . هى صك الخطوبة

﴿ انتهى الكتاب ﴾

فهرست

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة